الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة خميس- مليانة

كلية الأدب واللغات

قسم اللغة العربية

الموضوع:

الغربة الروحية في الشعر العربي الحديث والمعاصر

-مقاربة تطبيقية على نماذج مختارة-

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماسترفي اللغة و الأدب العربي

تخصص :ادب جزائري

من إعداد الطالبتان:

- عبسي مريم.
- عباس خيرة

إشراف الأستاذة:

_ د.بن علوة خيرة

السنة الجامعية 2023/2022

إهداء

أهدي قمرة جهدي إلى من حملتني وحمتني ومنحتني الحياة أمي الغالية التي حرصت على تعليمي وتربيتي بصبرها وتضحياتها إلى أبي الغالي الذي دعمني في مشواري الدراسي منذ خطواتي الأولى إلى المدرسة وشاءت الأقدار وفارق الحياة ،رحمك الله يا أغلى من روحي إلى روحي الثاني زوجي العزيز الذي أكمل المسيرة معي وكان بمثابة أبي الثاني ،نعمة من الله والحمد لله ،سندي وقوتي وقت ضعفي ، الذي حفزني ودعمني،هو و كل عائلته وإلى أجمل هدية رزقني الله بها مع اقتراب موعد تخرجي ،لذة كبدي، إبنتي" ألاء الرحمن "نبض قلبي وإلى كل إخوتي ، هجيرة ، سعاد،فتحية،وآسيا واحمد أخي وكل أبنائهم وإلى صديقتي التي كانت بمثابة أختي" مريم"

الحمد لله ....الحمد لله

خيرة

إهداء

بدأنا بأكثر من هم وعانينا الكثير من الصعوبات وها نحن هنا اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وخلاصه مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع

إلى الذين نكتب لهم بقلم المحبة وبمداد الوفاء، إلى الذين يحملون مشاعر العلم، ويسيرون بنور الإيمان ويسيرون في طريق العطاء

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسرجة من قلبها إلى من كانت مريضة بالرغم من ذلك سهرت الليالي معي وشجعتني، إلى أمي العزيزة

إلى من سعى وشقي لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح إلى والدي الغالي

إلى جدتي وجدي رحمهم الله اللذان ربياني وأنا صغيرة ولم يتركوا لي شيئا لم يقدموه لي

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلمع بذكراه فؤادي إلى إخوتي وأخواتي

إلى من لهم الفضل بإرشادنا إلى الطريقة العلم إلى أساتذتنا الأفاضل

إلى أصدقائنا وأحبتنا ومن سهر معنا في مسيرتنا العلمية

مريم

شكر

الحمد لله الذي تتم الصالحات ... الحمد لله على نعمة الإيمان والعقل ... له الحمد والشكر على كل حال ملء السماوات والأرض ... الحمد لله على نعمته التي أنعمها علينا والذي وفقنا إلى ما فيه الخير والصلاح

نتوجه بخالص الشكر إلى من ساعدنا في إنجاز هذا العمل المتواضع ولو بالكلمة الطيبة أستاذتنا الفاضلة "**بن علوة خيرة**" ونشكرها على صبرها في تقديم النصائح والإرشادات طوال إعداد هذه المذكرة.

كذلك نتوجه إلى الشكر والامتنان إلى كل من مد يد العون والمساعدة في إخراج هذه المذكرة

مقدمة

تعد الغربة الروحية من أهم القضايا التي تم تناولها من طرف المفكرين، فهي من أهم المواضيع التي نالت مكانة هامة في الأدب الغربي والعربي، فظاهرة الغربة والاغتراب ملازمة للإنسان من السمات الموجودة في الذات البشرية، وهي في أغلب الأحيان ترتبط بالاغتراب المكاني، أي مفارقة الشخص لأهله وأحبابه، وأصدقائه، فإذا نظرنا إلى الشعر العربي الحديث والمعاصر نجد أن الشعراء العرب المعاصرين قد عرفوا الغربة كثيرا في حياتهم اليومية من خلال تجاربهم القاسية، مم عكس ذلك التغرب في شعرهم حيث عانى الإنسان من التغرب، وكانت ردوده ومواقفه تتمحور بين الاستسلام والانسحاب وتارة أخرى الميل إلى الهجرة لبلدان في الخارج، لهدف العمل وإيجاد الرزق الوفير، والعيش حياة مريحة، بعيدا عن الاغتراب الاجتماعي في وطنه.

فالظروف الاجتماعية والسياسية التي عانى منها الشعراء، هي التي دفعت بهم إلى الهجرة والابتعاد عن الوطن، مما أدى إلى شعورهم بالغربة بكل أنواعها، والحنين إلى الوطن الذي عاشوا فيه، بسبب المرار الذي لاقوه في البلد الذي نزحوا إليه، لذلك لجأوا إلى الشعر ليخفف عنهم تلك الغربة القاسية، معبرين فيه عن رفضهم للواقع الذي مزق ذاتهم، خاصة شعراء المهجر الذين عرفوا ظاهرة الغربة الروحية في شعرهم المعاصر فحاولوا التجديد في الشعر العربي الحديث على مستوى الشكل والمضمون، فالتجربة الشعرية كانت استجابة لذلك التطور في الشعر الحديث، فهذا التجديد ظهر بسبب ماكان يعانيه الشعر من انهزام النفس، وتمزقها، فاستغل الشعراء الشعر الجديد في التعبير عن همومهم وغربتهم الاجتماعية والنفسية، خاصة المكانية.

ومن هنا كانت هذه الظاهرة موضوع بحثنا تحت عنوان: «الغربة الروحية في الشعر العربي الحديث والمعاصر/نماذج تطبيقية»، فالغربة لها أهمية كبيرة في الشعر العربي

الجديد، من خلال الإبداع الذي برع فيه الشعراء في شعرهم، وكيفية تصويرهم لواقعهم التعيس، وغربتهم القاسية.

ومن أهم المحفزات التي جعلتنا نختار دراسته الغربة الروحية وكيفية توظيفها في شعر المعاصرين هي:

* خصوصبة المادة الشعرية المتعلقة بالغربة والحنين عند شعراء المهجر.
* الرغبة في معرفة مظاهر الغربة والحنين وكيف انعكست على الشعراء.
* ميلنا إلى الشعر العربي المعاصر، ورغبتنا في إلقاء نظرة على كيفية تصوير ظاهرة الغربة في ذلك الشعر.
* بسبب نظرة الدراسات في موضوع الغربة الروحية، مالت أنفسنا لدراسة تلك الظاهرة.
* ومن هذا المنظر وبناء لاختيارنا لبعض شعراء المهجر هم (بدر الشاكر السياب، عبد الوهاب البياتي، إيليا أبو ماضي)، ومن أجل الوصول إلى ملامح الغربة في شعرهم حاولنا طرح جملة من التساؤلات:

فيم تمثل التجديد في الشعر العربي المعاصر على مستوى الشكل والمضمون؟

* ما مفهوم الغربة؟ وما هي أسبابها وأهم مظاهرها؟
* كيف تطورت الغربة في تاريخ العربي وأثرها على الشعراء؟
* فيما تجلت مظاهر الغربة والحنين إلى الوطن في دواوين الشعراء الثلاث؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قمنا بتقسيم البحث إلى مدخل وفصلين وخاتمة، وتطرقنا في المدخل عن الشعر في الموروث العربي، من حيث المكانة/ الوظيفة، أما الفصل الأول فعنوناه بتحولات الشعر العربي في ضوء الحداثة المعاصرة، الذي احتوي على مبحثين؛ المبحث الأول يتعلق بالتجديد من حيث الشكل، أما المبحث الثاني فيدور حول التجديد على

مستوى المضمون، إضافة إلى الفصل الثاني الذي جاء بعنوان أثر المعطى الحداثي والمعاصر على شعراء العرب الذي قسمناه إلى مبحثين، المبحث الأول يتمثل في صورة المعطى الحداثي والمعاصر في البيئة العربية وانعكاسها على الشعراء الغربة الروحية وفي المبحث الثاني قدمنا نماذج تطبيقية لبعض الرواد في الشعر المهجري، وحللنا بعضا من قصائد كل شاعر فيها دلالة على مظاهر الغربة الروحية، وفي الأخير في تحدثنا عن أهم نتائج هذا البحث.

أما بالنسبة للمنهج الذي سلكناه في تحليل تلك النصوص الشعرية فقد اعتمدنا على منهجين، هما المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بوصف أفكار الشعر كما هي موجودة في المتن، وتحليلها ضمن ما يوافق تجربة الغربة عند الشاعر، والمنهج الثاني هو المنهج النفسي الذي يقوم على التعبير عما يختلج في نفسية الشاعر من أفكار وأحاسيس لا حدود لها بطريقة فنية وراقية.

أما بالنسبة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليهم لدراسة هذا الموضوع والتي ساعدتنا كثيرا في إنجاز بحثنا نذكر منهم:

* محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر.
* عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية.
* عبد اللطيف محمد خليفة،دراسات في سيكيولوجية الاغتراب

هذه أهم الكتب التي اعتمدنا عليها خلال إنجازنا للبحث، وكذا بعض الكتب الاخرى التي قدمها لنا الأستاذة أنار الله دربها.

وقد واجهتنا في هذه الدراسة البعض من الصعوبات، من أهمها صعوبة الوصول إلى الكتب المهمة التي احتجناها في بحثنا، والتي كان من الصعب أن نطلع عليها، خاصة وأن

موضوع الغربة الروحية قليله المصادر والمراجع، مقارنة بالشعر العربي الحديث الذي لم أجد ولا صعوبة في تحميل الكتب إضافة إلى ضيق الوقت وصعوبة تحليل بعض القصائد الغامضة، لكن كل هذه العقبات لم تثنينا عن استكمال مشوارنا ولم تكن سوى محفزات للوصول إلى المبتغى.

وفي الختام نشكر الله عز وجل الذي وفقنا في إتمام هذا البحث كما نتقدم بجزيل الشكر للأستاذة المشرفة "بن علوة خيرة" التي أتاحت لنا الفرصة للخوض في ثنايا هذا الموضوع والى الجميع من أعاننا عن قريب أو بعيد.

مدخل: الشعر في الموروث العربي (المكانة، الوظيفة)

1. المكانة
2. الوظيفة

كلام العرب نوعان منثور ومنظوم، والشعر العربي هو فن قديم وأصيل، من الفنون العربية الأولى عند العرب، وظهر منذ قديم العصور. يمثل لنا أممية مبالغة، هو ديوان العرب وتاج آدابهم، يعلي من مكانة صاحبه لأنه لسانه معبر عنه، وعن أمته وقضاياه، كما يساعد في التعرف على أوضاعهم وثقافاتهم، وأحوالهم وتاريخهم. له عدة مميزات تميزه عن غيره من أنواع الكلام: قافية، ونغمة، ووزن، ...، له تأثير كبير على القراء وعلى مشاعرهم ونفسيتهم، وهو يعتمد عدة عناصر، والعاطفة والخيال، الفكرة... وغيرها، وعدة أغراض منها: الوصف والرثاء، والهجاء، والمدح.

وقد تعددت الآراء عند مجموع النقاد والأدباء حول مفهوم الشعر، فيقول عنه ابن منظور: "الشعر منظوم القول غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية ... وقائله شاعر لأنه يشعر به غيره، أو يعلم به."[1]

إذن فالشعر يتميز بالوزن والقافية ويمكن لناظمه، أن يبث فيه جل أحاسيسه التي تجعل القراء يتأثرون به ويحسون بالشاعر ويعيشون تجربته.

وهو كلام منظوم، دائما عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، يختلف عن النثر فالشعر له قواعد ومميزات تجعله ينفرد بها على عكس النثر الذي يسهل على المتكلم كتابته، وليس فيه ضوابط وقواعد دقيقة تضبطه، ويقول ابن سلام الجمحي: "المنطق على المتكلم أوسع منه على الشعراء، والشعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي، والمتكلم مطلق يتخير الكلام."[2]

---

[1] ابن منظور، محمد جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الحياء التراث، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1999م.

2 الطبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود شاكر،مصر، ج1 ،(د ط) ،1974م.

إذا فالشعر كما سبق لنا القول لهم مميزات تميزه عن غيره، كما يعتبرها البعض بأنها قواعد لابد على الشاعر والسير عليها أثناء نظمه لقصيدة ما، أما الكلام العادي فلا توجد له قيود وصاحبه ينتقل كلماته كما يشاء.

وفضل المبرد: "صاحب الكلام الموصوف –الشاعر–احمد لأنه أتى بمثل ما أتى به صاحبه وزاد وزنا وقافية."[1] ميزة الوزن والقافية وجدها من تخلق الفرق بين الشعر والكلام العادي.ويرى قدامة بن جعفر على أنه: "قول موزون مقفى يدل على المعنى."[2]

ويماثله في القول المرزوقي: "لفظ موزون مقفى يدل على المعنى."[3]

ومعنى هذا أن الشعر كلام له معنى أي فكرة يتضمنها وله وزن نتج عنه إيقاع معين، على نظام معين –علم العروض–له قافيه وهي كل ما يلزمه الشاعر في آخر كل بيت من الأبيات التي تتضنها القصيدة.

وقد جاء هذا في قول ابن رشيق القيرواني: "أن الشعر يقوم بعد النية، من أربعة أشياء: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية وهذا هو حد الشعراء."[4]

إذا فرغم الاختلاف بين التعريفات التي مررنا بها غير أنها تبقى تقريبا نفسها، ومعها حول أهمية الوزن والقافية في الشعر أي أن له قوانين وقواعد لا يجب على الشاعر تخطيها

---

1 البلاغة ،تحقيق رمضان عبد التواب ،مصر، (د،ط) ،1965م . .

2نقد الشعر ،تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي ،مصر (د ط)،399هـ–1979م.ص64

[3]المقاسات، حسين السندولي، (د، ط)، مصر 1929 م، ص 310.

[4]العمدة: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصر 1383 هـ–1963 م، ج10، ص 119.

في نظم أشعاره، وفي تحدثنا عن الشعر يتبادر إلى أذهاننا المكان التي حظي بها على مر العصور.

1/المكانة:

في العصر الجاهلي:

الشعر الجاهلي بمختلف أغراضه هو تعبير صادق عن الحياة التي عاشها الإنسان الجاهلي في تنوعها وتبيان مجالاتها وبياناتها، والشاعر ابن بيئة والنطق بلسان قومه، المعبر عن الخوارج التي تنتاب كل إنسان عاش في تلك البيئة.

وقد "كان الشعر في الجاهلية سمة العربي التي بها يعرفون، وكان حجتهم على الفضل، ودليلهم على النبل، وسجل أيامهم المشهورة. وأعمالهم المأثورة وكان الفراغ وخلوّ البال والانطلاق من قيود الدين تجعلهم يهيمون به في كل واد، فمن غزل لا يتحرزون فيه، من ذكر الغافلات المقصورات في حضورهن إلى هجاء ومدح مبناها المبالغة والكذب. كذلك كانت العصبية تسيطر في الشعر على جملة أغراضه، فهي التي كانت تهيج الفخر والمباهاة، وتحمل على إثارة الضغائن وتأريث العداوات والتحريض على القتال حتى كانت الجزيرة تنورا ينفخ فيه الشعراء ... ومن هذا نستطيع أن ندرك مقدار حرص القبيلة على أن يكون لها شاعر ينافح عنها ويسجل مفاخرها، وأنها كانت لا تزال متضامنة منكسة الرأس حتى ينبغ فيها شاعر، فيتباشر أهلها، ويأتيها المهنئون بنبوغه."[1]

[1] محمود مصطفى الأدب العربي والتاريخ في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، ج1، ط2، مطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ص 94.

فللشعر قيمة كبيرة في هذا العصر حتى أنه كان ما برز شاعر فيه إلا وأقامت قبيلته حفلة وجاءها المباركون إذ كان الشاعر عند العرب شخصا ذا منزلة تفوق منزلة سائر الأفراد.

في صدر الإسلام:

اتخذ الإسلام موقفا من الشعراء وميز بينهم وقد قام باستنكار الماجن والفاسد، وقام بتشجيع أنواع الشعر التي دعت إلى الفضيلة. "وتنوعت أغراض الشعر عندهم، وإن جاء معظمه في الفخر والحماسة لأن المواقف تتطلب منهم هذا إلا أننا وجدناهم قد تحدثوا في الوصف والحكمة والهجاء الذي لا يخرج بعيدا عن الرد بما تسمح به تعاليم الدين الجديد ... وحتى ما جاء في شعر النساء من الرثاء أو تذكر المواقف أو الاشتياق للزوج، والأب، والابن، بعد خروجه والابتعاد عن أرضه ... فقد افتخرت بهم جميعا. ووصفتهم بتعابير إسلامية جديدة ورثت من قبل بكلمات عذبة رقيقة تدل على تغلغل الأخلاق الإسلامية في نفوسهن."[1]

ومعنى هذا أنه بالرغم من كل ما فرضته المواقف على مجمع الشعراء من فخر ورثاء، واشتياق، وهجاء، إلا أنهم لم يعتدوا بهذا حدود ومتطلبات الدين الإسلامي، فقد ابتعدوا عن الغزل الفاحش والماجن وقل الهجاء والمديح.

قد "جاء الإسلام ودخل فيه عدد كبير من الشعراء، حضروا الجاهلية، وقالوا شعرا وفيرا، ودخلوا الإسلام ونافحوا عنه بأسنتهم وألسنتهم، دافعوا عن القيم الروحية التي آمنوا بها، ودافعوا عن الدعوة وعن الرسول صلى الله عليه وسلم ... وقد استمدوا معانيهم في

[1] يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب عصر صدر الإسلام، الأهلية للنشر والتوزيع، ط2، 2009 م، ص 6.

أشعارهم من القرآن الكريم ... ومجدوا الإسلام ورثوا أصحابهم وافتخروا بنعم الله عليهم وكانت أشعارهم ذات صلة بآيات القرآن الكريم."[1]

وهكذا فمع ظهور الإسلام والدعوة إليه، اتبعه كثير من الشعراء الجاهليين وحاموا عنه وانتصر له بكل ما استطاعوا وما كان بإمكانهم استعماله.و تباهوا واعتزوا بنعم الله سبحانه وتعالى واقتبسوا بذلك من القران الكريم في أشعارهم.

ومن ذلك أنهم "تعلموا القرآن الذي ضم اللغة بين صفحاته، وكان معجزة العصور في تشريعه، كما كان معجزة في ارتفاع بلاغته وذكر أخبار الأمم السابقة ولا عجب في ذلك وهم أهل الفصاحة والبلاغة وأهل الذوق الرفيع في أشعارهم، فانشغلوا بالقرآن وأسلوبه وانحسروا عن قول الشعر إلى فترة محددة، وكأنهم أخذوا في هذه الفترة جرعة جديدة. مما أدى إلى الاعتقاد بين الدارسين أن الشعر قد وهن وضعف وهذا و هم و تجني على حقيقة هؤلاء الناس ، لأن الناظر في كتب الأدب و المتفحص لما ورد من شعر الشعراء في العصر الإسلامي يتبين الدور الكبير الذي أخذه هؤلاء الشعراء على عاتقهم ... وأما ما ورد من إشارات حول الشعر والشعراء، فإن القرآن الكريم لم يمنع قول الشعر، ولم يعاد الشعراء، وإنما كانت إشارة القرآن الكريم تهذيبا للشعراء، ووضع حد لقول الزور والفحش عند بعض الشعراء."[2]

لقد أتقن الشعراء وعرفوا كثيرا من الأمور من القرآن الكريم والذي كان ولايزال معجزة لما شرعه الله تعالى لعباده من عقائد وأحكام ومن ناحية بلاغته، ولا غرابة في ذلك فقد

---

[1] يسوف عطا الطريفي ،شعراء العرب عصر صدر الإسلام ،ص 23.

2 المرجع نفسه ،ص 10.

اهتموا بالقرآن الكريم وتدبروا معانيه وفصاحة لغته، وقد تخلوا عن قول الشعر لمدة معتبرة بسبب اجتهادهم وتعمقهم في اقتناء جرعات أكثر لم يعرفوها من قبل. وهذا ما جعل العلماء والدارسين يظنون أن الشعر في هذه الفترة قد هزل وضعف غير أن الأمر ليس بذلك لأنه إذا أمعنا النظر ودققنا في كتب الأدب لاكتشفنا الدور الكبير لهؤلاء الشعراء في العصر الإسلامي، إلا أن قرآننا الكريم لم ينهنا عن قولي ونظم الشعر ولم ينزل من قيمة الشعراء ولم يدعوا إلى الابتعاد عنه وإنما كان مطلبه هو التخلي والابتعاد عن الموضوعات المنحطة والمنبوذة عند بعض الشعراء.

في العصر الأموي:

عرف الشعر في هذه المرحلة موضعا ساميا واعتبر أدبا مقدرا لقيمته الجمالية أكثر من محتواه التثقيفي والتعليمي "إذ كانت له في هذه الدولة أرفع مكانة وأجل خطر"[1].

ويعود الاهتمام بالشعر خاصة " إلى شدة تأثيره في الجماهير وذيوعه في الأندية، فجعله خلفاء هذه الدولة وسيلة لإذاعة محامدهم، وتأييدالسلطانهم، وتفخيما لشأنهم ... وإن شيوع التغني بالشعر في هذا العصر ضاعف من شأنه، وقوى من تأثيره، فزاد الحرص عليه، والتماس فائدة من ورائه ... وليس يخفى أن الشعر وهو مرآة الأمة ظهر في هذا العصر ما بان في حياة الأمة من تهاون بأمر الدين فشاع الغزل ووصفت الخمر، وأفحش في الهجاء"[2].

[1] محمود مصطفى، الأدب العربي وتاريخه في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، ص 268.

2 المرجع نفسه ،ص 268،269 .

تغنى الشعر في هذا العصر بما يسمى بطابع الغزل والذي تناول وصف مفاتن المرأة الحسية والمعنوية وقصائد شعرية فيها معارك هجائية، امتزج فيها الفخر بالهجاء والتعصب القبلي، كمدح النفس وذّم وشتم الغير. وعاودو تناول معاني الجاهلية خصوصا في الفخر والهجاء، وذلك على عكس ما جاء به الإسلام وقد تطور الشعر وتعددت أغراضه.

"فيحسن في الحكم على أسلوب الشعر في هذا العصر أن تقول إجمالا: أن فيه النزعتين نزعة الإسلام والجاهلية، ثم نحكم على الشعر أحكاما مناسبة لكل شاعر على حسب ما هيئته بيئته التي أحاطت به"[1].

عند الفصل في نمط وأسلوب هذا الشعر إبان العصر الأموي، يتضح لنا أنه امتزج فيه الميل تارة إلى النزعة الإسلامية وتارة أخرى إلى النزعة الجاهلية. وعلى هذا الأساس ما تفرضه البيئة على الشعر يمكن اتخاذ القرار الملائم في حق الشعراء.

في العصر العباسي:

يعتبر العصر العباسي عصر ازدهار لمختلف الأشكال الأدبية في نثر وشعر، حيث لم يكتفي الأدباء والشعراء بالأغراض الأدبية القديمة بل جددوا في الموضوعات، وابتكروا في المعاني، كما يعد هذا العصر من أطول العصور الأدبية في تاريخ الأدب العربي وأغزرها.

"وحينما نتذكر الشعر العباسي نتذكر البيان والبراعة التصوير ودقة المعنى وسمو الخيال واتساعه، وكانت للشعر قيمته الكبرى في الجاهلية، وعظمت هذه المكانة في عصر بني أمية ولكن الاختلاط في العصر العباسي وامتزاج العرب بغيرهم كان له أثره الكبير على

[1]محمود مصطفى ،الادب العربي و تاريخه في عصر صدر الإسلام ،ص273.

هذه النتائج الجديدة في الأدب والفكر ... وقد جمع الشعر العباسي بين فصاحة البداوة ورقة الحضارة وإبداعها، ونشأ عن ذلك شعراء تعلموا العربية"[1].

وفي العصر العباسي ظهرت حركة فكرية وأدبية ازدهر فيها الشعر وازدهارا كبيرا على غرار العصور السابقة التي اعتبرت أيضا أن الشعر كان له قيمة فيها. برز فيه الكثير من الشعراء والأدباء. تميز فيه الشعر برقة الأسلوب وعذوبة اللفظ مع الجزالة والرصانة موضوع المعاني فضلا عن الإكثار من استعمال فنون البديع كالتشبيه والطباق والجناس ... وغيرها.

"وقد شجع خلفاء بني العباس العلم والأدب والفن وكان للشعر نصيب الأسد من هذا التشجيع، فقعدوا له المواسم واستمعوا للقصائد، ومنح الجوائز والهبات ... فبلغ الشعر في هذا العصر عناية لم يبلغها قبله ولا بعده ... فقد رقت الألفاظ والأساليب واستحدثت المعاني البارعة ونظم الشعراء في أغراض جديدة لم يسبق نظم الشعراء فيها ... كما جددوا الأغراض القديمة وأضفوا عليها من براعتهم حللا جديدة بعد الصقل والتهذيب"[2].

بلغ الشعر ذروته في هذا العصر إذ جدد شعراؤه في الأوزان والقوافي، إلاأن التجديد الأكثر وضوحا كان على مستوى الموضوعات. وإن حافظوا على الأغراض التقليدية للشعر العربي كالمديح والغزل والرثاء إلا أنهم اختلفوا في عرض هذه الموضوعات.

---

[1] د. ياسمينة محمد محمود عمر، "خصائص الشعر في العصر العباسي"، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث، ع 8، أكتوبر 2015 م، ص 317.

[2] المرجع نفسه، ص 317.

2-الوظيفة:

وكما للشعر ومكانته أيضا عدة وظائف فقد اختلف الكثيرون حوله، فهناك من يرى بأنه ليس عبثي في حين أن هناك من يرى عكس ذلك وان له وظيفة ويتضح هذا عند أفلاطون وتلميذه أرسطو، إذ أبعد "أفلاطون الشعراء من مدينته الفاضلة لأنه كان يظن أنهم يملأون عقول الناس بالأوهام والخرافات كما أنهم يصرفون الناس عن جد العمل إلى هزل القول فكان الشعر مع أفلاطون بلا وظيفة،اللهم إذا كان أناشيد تتقدم صفوف المحاربين، ترف أصداؤها في ظلال راياتهم".[1]

رأي أفلاطون أنه لا توجد غاية مهمة للشعر ولا خدمة معينة يسعى من خلاله إلى تحقيقها وأنه عبارة عن تخايلات وأحاديث مكذوبة. وانهم به يصرفون الناس إلى التكلم بكلام ليس له معنى وأبعادهم عن الأمور الحقيقية والجدية.

أما عن أرسطو:

"فقد ربط وظيفة الشعر بالطبيعة الإنسانية في بحثها عن المتعة والإحساس بالجمال فقال: "يبدو أن الشعر على العموم قد ولده سببا وأن ذينك السببين راجعان إلى الطبيعة الإنسانية، فإن المحاكاة أمر فطري موجود في الناس منذ الصغر ثم إلى الالتذاذ بالأشياء المحكية أمرعام للجميع"[2].

[1]د. فضل الله، "وظيفة الشعر عند النقاد العرب القدامى"، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، العدد 18، 2011 م، ص 158.

[2]فضل الله، وظيفة الشعر عند النقاد العرب القدامى، ص 118.

يرى أرسطو من خلال قوله هذا بأن وظيفة الشعر تحكمت في الروح الإنسانية وتذيع من نفسه وأحاسيسه التي تنتابه.

وإذا أمعنا النظر في تاريخ الأدب العربي عامة والنقد العربي خاصة فنجد أن وظيفة الشعر اختلفت باختلاف الزمان والمكان والأشخاص، إلا أن هناك وظائف معينة اشتهرت بين النقاد، وهذه الوظائف بعضها كان عامة لا تختص بزمن من دون زمن وبإقليم دون إقليم في حين أن بعضها كان مخصوصا بزمن أو بإقليم:

1- **الدفاع عن القبيلة:** من أبرز وظائف الشعر وأقدمها وظيفة الدفاع عن القبيلة لأن الشاعر يحامي عن القبيلة ويدافع عنها بالقول المأثور النفاذ، فكأنه رجل الإعلام، أو صحفي هذا الزمان، يفتخر بمؤثر القبيلة، ويدافع عن سياستها ومجدها ويصور قوتها ويهاجم الأعداء المتطاولين عليها.
2- **مصدر المعرفة (ديوان العرب):** من المعلوم أن الشعر خلاصة التجارب الإنسانية، مصدر للعلم، ووعاء الثقافة، ولذلك جعل العرب الشعر وعاء تجاربهم، ومستودع حكمتهم، وهو ديوان معارفهم وعلومهم.
3- **الحكمة:** إن الشعر عند العرب مصدر الحكمة والتربية والتهذيب، وكان الشاعر يربي قومه على القيم الفاضلة، والأخلاق الحميدة، ويزجرهم في الوقت نفسه عن الأفعال الدنيئة.
4- **فهم القرآن والسنة:** كان الشعر العربي مدخلا مهما لفهم الأسرار القرآنية، وفك رموزه وحقائقه، وكان عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما دائما يفسران القرآن بالشعر الجاهلي.

5-**التهـذيب والتربيـة:** لا شك أن الأدب يـؤدي دورا كبيـرا فـي التهـذيب النفـوس وتربيـة الخلـق وأن الـدور الخلقـي لـلأدب قـد تعمـق بمجـيء الإسـلام لأن الحكمـة فـي نظـر الإسلام أمانة ومسؤولية.

6-**الوظيفـة النفسـية:** قد ربط النقاد العرب الذين تغلب عليهم النزعة الفلسفية والعقلية الشعر بالغايات الخلقية مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد ... وصرحوا بأن الشعر نفاذ في عمق النفس، فيحدث فيها من التأثير الشعر.

7-**الشعر وعاء اللغة:** قد أشار النقاد إشارات واضحة إلى دور الشعر في حفظ اللغة وإثرائها، إذأن الشعر وعاء اللغة ومستودعها ولذا كان مادة أساسية في تعليم الشعر وتنمية الملكة البلاغية وتفصيح اللسان.[1]

ومنـه فـلا يمكننـا غطـس النظـر عـن الوظـائف التـي يضـعها الشـعر بـين أيـدينا فهـي تتبدل من موضع إلى آخر، ومن موقف لآخر، ومن شخص لآخر حسب الظروف ونوع التجربة التي يعيشها ذلك الشاعر، أو ذاك الوطن على مر العصور. فإذا قرأنا اليوم شعرا لفلان كان مغروما ومنهمكا في حال بلاده، اكتشفنا مميزات ذلك الوطن آنذاك وما كان فيه وما عاشه أصحابه، إذا فهذه تعد وظيفة أيضا. في حين أن الشعر كان لسان قبيلته يعبر عن مآسيها وبذكر محاسنها يدافع عنها ويمجد بطولاتها وهذه تعد وظيفة.

كما أنه يمكن للشعر التأثير في نفوس الآخرين من خلال ما يحمله في طياته من قيم ونصائح ومحاولة نشر الفضيلة، وغاية التثقيف، من القرآن الكريم والتدبر في معانيها ومحاولة نقلها وتفسيرها وتوضيحها للقرآن بصفة أخرى يؤثر في القراء، وهذه أيضا تعد وظيفة أخرى، فالإسلام يربي نفوس البشر ويبعد عن نشر الرذائل التي كانت منتشرة ويحسن

[1] ينظر: فضل الله ،وظيفة الشعر عند النقاد العرب القدامى ،ص 159-160-162-165-167-169.

من صورة المجتمع. لذا يمكن للشعر التأثير في نفوس البشر بصفة أو بأخرى وبإمكانه أن يسيطر على عقولهم ويحرك أحاسيسهم ومشاعرهم. كما أنه لا يجب علينا أن ننسى بأن المتطلع على الأشعار ينمي قدرته اللغوية ويثيرها، ويسير من تفصيح الألسن وإثراء الرصيد البلاغي واللغوي ... وغيره.

غير أننا لا يجب أن نتغاضى عن بعض الأشعار التي في الغالب لم تكن لها وظيفة حقه، بل كانت مجرد ترهات تعتمد على نشر الرسائل والتغزل بمحاسن المرأة المعنوية التي ينبذها الإسلام والافتخار بالنفس، والانتساب، وشتم وذل الآخر فهذه لا تعد وظيفة ما لم تكن لها غاية مهمة بالتأثير في المطلعين على هذا الشعر.

الفصل الأول

تحولات الشعر العربي في ضوء الحداثة والمعاصرة

I-من حيث الشكل

1-الايقاع الموسيقي

2-الصورة الشعرية

3-اللغة الشعرية

II. من حيث المضمون

1-الشعر والمدينة

2-شعر المرأة والحب

3-الشعر السياسي

يعد |الشعر المعاصر صياغة لروح الحضارة التي شملت جوانب الحياة المختلفة، حيث مر شعر المعاصر بمحطات فكرية حاول من خلالها شعراء التجديد في القصيدة العربية شكلا ومضمونا، حيث يشير يوسف الخال إلى هذا العنصر قائلا: "حركة الشعر العربي الحديث بعد منتصف هذا القرن حركة ثورية تطويرية تتبع من داخل التراث الأدب العربي لا من خارجه، وهو حقيقة تفرضها اللغة العربية وثقافتها، فحركة النهضة هدفها رفع النفس العربية إلى المستوى الحداثة فهي قديم تجدده مع الحياة شأنها في ذلك شأن الولادة الجديدة"[1]. فقد نشأ هذا التيار الحديث عقب الحرب العالمية الثانية، حيث كانت النفس الإنسانية تشرب من أعماق الانسحاق والانهزام باحثة عن منفذ إلى آفاق مشرقة فحاول هؤلاء الشعراء أن يقدموا شعرهم الجديد بحلة جديدة تتوافق مع تجاربهم الذاتية والقومية وإدخال مبادئ مميزة في هذا الشعر.

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الشعر العربي الحديث هو أن المجتمعات آنذاك كانت مكبلة من طرف الاستعمار"فقط كان المجتمع العربي في منتصف هذا القرن مهموما بكثير من القضايا المتعلقة بالتجديد والتحرير والثورة والاستقلال وقد امتلئ الشارع العربي بهذه الكلمات"[2]، فاستغل الشعراء همومهم في القصائد إضافة إلى التحولات الاجتماعية والثقافية التي شملت المجتمع العربي وجعلته متقبلا للأفكار الجديدة، فالتجربة الشعرية كانت استجابة للتطور حتمي في الواقع العربي المعاصر، وكانت نتاجا نابعا من التحولات السياسية والاجتماعية فبداية الشعر الحر كان بسبب تجربة عميقة وظروف عامة،

[1] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث (الشعر المعاصر)، دار توبقال للنشر، بيروت، ط2، 1966، ص 35.

[2] المرجع نفسه، ص 26.

تقول نازك الملائكة: "أن الشعر الحر شأنه شأن أي حركة جديدة في ميادين الفكر والحضارة ... على أنه لابد أن يحتوي على فجاجة البداية، فلابد له من ذلك"[1].

فالشعر العربي الجديد والمعاصر نشأ بسبب المظهر العروضي والدلالة الاجتماعية، فهو يحمل في طياته أغراضا اجتماعية وفنية، ومن أهمها النوع إلى الواقع حيث "تتيح أوزان الحرة للفرد العربي المعاصر أن يهرب من الأجواء الرومانتيكية إلى جو الحقيقة الواقعية"[2]إضافة إلى الحنين إلى الاستقلال والحرية التي جعلت الشاعر المعاصر يرغب بكثرة في أن يبدع بطريقة تلائم حاجات العصر، "انه يرغب في أن يستقل ويبدي على نفسه شيئا يستوحيه من حاجات العصر، وهو في هذا أشبه بصبي تحرق أن يثبت استقلاله عن أبويه فيبدأ بمقاومتها"[3]، فالشعراء استخدموا القصائد لمواجهة الاحتلال من خلال جبهات وطنية مكونة من أحزاب، فنجحت في صياغة برنامج جديد للحركة العربية مضمونه ومحتواه الأساسي هو الاستقلال.

وكما نرى فالشعر العربي المعاصر قام على مظهرين أساسيين "أولهما أخذ بالتفعيلة بديلا عن الشطر،والتحرر من قافية الشطرين، وثانيهما إخضاع الشعر ونظريات مسبقة والتزامه بها ... الالتزام"[4]، فحركة الشعر الحديثة من خلال هذين النمطين خرجت عن النمط التقليدي القديم، فهكذا كانت ثورة الشاعر العربي المعاصر في الشعر القديم على مستوى الشكل و المضمون .

---

[1]نازكالملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1962، ص26.

[2]محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، ص 27.

[3]المرجع نفسه، ص 27.

[4]محي الدين إسماعيل، ملامح العصر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص 47، 48.

وهكذا راح الشعراء في الشعر العربي الحديث والمعاصر المحاولين بكل قوة وجدارة نظم قصائدهم على منوال جديد ومغاير، ومن هؤلاء نجد (صلاح عبد الصبور، خليل الحاوي، بدر شاكر السياب، فدوى طوقان، ... إلخ) إذ انطلقت العبقرية بين الشعراء المجددين الذين استوعبوا أخيرا التجديد على مستوى الشكل والمضمون في القصيدة العربية، ووجدوا بأنها الملجأ الوحيد للاستقلال والتعبير عن حاجياتهم، فوجد الشاعر المعاصر نفسه بحاجة إلى هذا التجديد وهذا من خلال محاولتهم ابتداع الجديد من المظاهر والملامح التي لم يعمدها الشعر العربي قديما.

I_ من حيث الشكل:

"لقد رأى الشاعر العربي المعاصر في أشكال الشعر التراثي قيودا بقيت التجربة الشعرية العربية ترصف فيها عصور متطاولة، فأفقدتها الكثير من أصالتها بل خنقت أنفاسها في كثير من الأحيان"[1]، فاجتهدوا كل الاجتهاد من أجل التخلص من الشعر الشكل القديم في الشعر، وفي هذا الباب سنتطرق إلى الخصائص الفنية الجديدة التي طرأت على الشعر العربي الحديث والمعاصر من حيث (الإيقاع الموسيقي، الصورة الشعرية، اللغة الشعرية).

1_ الإيقاع الموسيقي:

تعتبر الموسيقى عنصرا أساسيا في الشعر ومن أبرز أدواته التي يستخدمها الشاعر في بناء قصيدته، وهي التي تضفي جمالا على الشعر، فالموسيقى هي التي تتلاءم مع التجربة الشعرية، وتتأقلم مع المعاني والأفكار، فهي من حين تكون عالية النغمة، وفي حين آخر تكون منخفضة، تبعا للحالة النفسية، وهذه النغمة تساير موضوع القصيدة، "إذ أن حيز

[1] محي الدين إسماعيل، ملامح العصر، ص 48.

موسيقى ما تتمشى مع الأفكار، وتتساوق مع المعاني، وتتجاوب ألوان نغماتها ونبراتها مع حالات النفس، في الشعر في احتياجه وغضبه وغيظه يكون تعبيره الموسيقي عالي النغمة، وفي حزنه يكون منخفضا، وفي تعجبه وفرحه وهدوئه واطمئنانه تكون المسافات الصوتية قصيره، وهكذا تسير النغمات حالات النفس، كما تسير موضوع القصيدة وفكرته"[1].

فالإيقاع الموسيقي من المقومات الفنية الأساسية التي يرتكز عليها العمل الشعري، وهو الميزة الأولى والخاصية الأساسية التي تجعلنا نفرق الشعر عن النثر، فالشعر بصفة عامة لا يمكنه أن يستغني عن الموسيقى "ومن الخطأ أن نتصور أن الشعر يمكن أن يستغني عن الإيقاع والتناغم وكذلك من الخطأ القول بأنهما يشكلان الشعر كله"[2].

فالإيقاع الموسيقي من أهم خصائص الشعر، إذ لابد للإيقاع أن يكون موزونا، ولابد أن يكون قويا حتى لا يضعف فيصل ضعفه إلى مكانة النثر، "الإيقاع الوزني المنتظم من أهم وألزم خصائص الشعر و أهم مقوماته ،فعنصر الموسيقى ركيزة من ركائز العمل الفني في الشعر، فإذا خلا الشعر من الموسيقى أو ضعفت فيها إيقاعاتها خف تأثيره، واقترب من مرتبة النثر"[3].

ومن ثم فإن الإيقاع الموسيقي ذوقيمة بالغة، فهو مهم في الشعر يخضع لقواعد يدقق فيها كثيرا حتى تتوازن القصيدة، وحتى تصبح الموسيقى مستساغة للسامع،"فالشعر صناعة ذات قواعد إيقاعية دقيقة، لا تؤخذ هونا، بل يقف عندها الشاعر طويلا يهذب، ويدقق

---

[1] مصطفى عبد اللطيف السحرتي، الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، دار الحصاد للنشر والتوزيع، جدة المملكة العربية السعودية، ط2، 1904ه، 1983م.

[2] أدونيس علي محمد سعيد، مقدمة الشعر العربي، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 1979، ص 116.

[3] عبد الرحمن آلوجي، الإيقاع في الشعر العربي، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، مكة، ط3، حزيران 1989، ص 50.

ويحذف، حتى تستقيم القصيدة، وتتوازن إيقاعاتها، ويحكم نسيجها، وتحسن في الأسماع، وحيثما جاد النغم وتناسق إلى منتهاه، حسن وقعه في الأذن"[1].

"ويستخدم مصطلح الإيقاع أساسا في الموسيقى، باعتباره تنظيما للشق الزمني لها، غير أن ظاهرة الإيقاع ظاهرة شائعة في مختلف الفنون، وليس فقط في الموسيقى، سواء كانت سمعية أو بصرية"[2] فالإيقاع ميزة جوهرية وأساسية للموسيقى كونه منظما زمنيا للموسيقى، فالإيقاع له علاقة قوية مع الموسيقى.

كما أن "الإيقاع ليس إشارة بسيطة، بل هو نظام إشاري مركب ومعقد، مكون من العديد من الإشارات، بل إن كان عنصر من عناصره هو في حد ذاته نظام إشاري مكون من إشارات هي مفرداته، ونتيجة لذلك فإن الدلالات التي يعطيها الإيقاع ليست بسيطة ولا متفقا عليها، إن الإشارات الشعرية إشارات أيقونية أو تصويرية أي أنها متعددة الدلالات، مكثفة المعاني بشكل مباشر من ناحية أخرى ولا تؤدي معانيها بشكل مباشر"[3]. وهذا يعني أن الإيقاع عبارة عن أنظمة إشارية متعددة الإشارات والعبارات، في المعاني التي يعطيها الإيقاع ليست سهلة، ولا يأتي بمعانيها بطريقة واضحة ومباشرة فالنظام الإيقاعي من أصعب النظم الإشهارية تعقيدا في القصيدة الشعرية.

فالموسيقى وسيلة بحتة في التعبير الشعري، وهذه الموسيقى الحقيقية تنبع من الأحاسيس والمشاعر، وتتكون من موسيقى خارجية يحكمها العروض وتعتمد على التفعيلة،

---

[1] عبد الرحمن آلوجي، الإيقاع في الشعر العربي، ص 51.

[2] سيد البحراوي، العروض وإيقاع الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د، ط)، 1993، ص 109.

3 المرجع نفسه، ص 136.

أما الموسيقى الداخلية فتحكمها الصورة أو القيم الصوتية الباطنية، والذي يفعل فعله من أجل تحقيق وحدة القصيدة، "فبإزاء هذه القيمة الفنية لموسيقى الشعر، يمكن أن ندرس نمطين من الموسيقى في الشعر: الأول الموسيقى الخارجية التي تعتمد على الصورة الزمنية "التفعيلة" والثاني الإيقاع الداخلي الذي يفعل فعله في الموسيقى الخارجية من أجل توحيد القصيدة"[1]، فالإيقاع الخارجي يشمل في شكل القصيدة الخارجية العروض والقافية أي الأوزان والقوافي، أما الإيقاع الداخلي فهو يتمثل في طبيعة التركيب اللغوي للقصيدة في اختيار الدلالات والألفاظ وما تحققه من انسجام صوتي، فكل هذه الألفاظ الداخلية سببها حالة شعورية مثلت تلك التراكيب المفردات، فكل إيقاع داخل نتيجة انفعال ذاتي ملائم للنفس، "ولا شك في أن للإيقاع الداخلي وقعا صوتي على الأذان الأمر الذي يؤدي إلى تثبيت حالة شعورية تكون قد نهضت بالاستناد إلى قيمة تعبيرية معتمدة على الألفاظ، وهذه الألفاظ هي منالتقاط تلك الحالة الانفعالية، وعلى هذا الأساس تكون النفس وقت تجربة شعرية تمثلها قد غاصت في مساحة واسعة من الألفاظ فاجتذبت إليها ما يشكل المواءمة وتأسيسا على ذلك فإن القيمة الإيقاعية تجيء من الاشتغال الفاعل مع النشاط الذي تحدثه النفس التي انفعلت فاطمأنت وكتبت القصيدة"[2].

فالموسيقى نوعان، الأولى هي تركيبة مشكلة من خلال الانسجام الصوتي، ويعتمد فيها على القافية التي تكمل الصورة الإيقاعية للقصيدة الخارجية، "والموسيقى التركيبية هي موسيقى الأوزان الشعرية ذات القيمة المركبة، وهي موسيقى تشكيلية مجردة تعتمد على التناسب الصوتي للكلمات بطريقة تمكن الكلمات من أن يؤثر بعضها على بعض الآخر على أكبر

[1] محمد راضي جعفر الاعتزال في الشعر العربي المعاصر، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 1434 هـ، 2013 م، ص 45.

2 المرجع نفسه ص 215.

نظام، ففي قراءة الكلام الموزون يزداد تحديد التوقع، كما يعتمد على الموسيقى القوافي التي تحاول أن تجعل الصورة الموسيقية أكثر اكتمالا وتنظيما من الناحية التشكلية الخارجية"[1]، أما النوع الثاني فهو الموسيقى التعبيرية ناشئة من الانفعالات والتجربة الشعرية.

ومن خلال تحدثنا عن مفهوم الإيقاع الموسيقي، وتعريفنا للموسيقى أو الإيقاع الموسيقي، وأنواع الموسيقى المتمثلة في الموسيقى الداخلية والخارجية، التركيبية والتعبيرية، نذهب الآن الى محاولات التجديد في الإيقاع الموسيقي الذي أقدم عليه الشعراء في الشعر العربي الحديث والمعاصر من خلال محاولاتهم في التنويع على مستوى القافية التي قد طرأ عليها بعض التغيرات وتجربتهم لأوزان جديدة مغايرة للوزن القديم، "فالصورة الموسيقية للقصيدة العربية قد شهدت حركات ثورية كثيرة ومتوالية بدأت منذ فترة مبكرة منذ العصر العباسي، وتمثلت في الاتجاه إلى مجزوءات ومشطورات البحور ومحاولة التنويع في القوافي التي بلغت قمتها في الموشحات"[2]، دون أن ننسى محاولاتهم التغيير في التفعيلات.

"وقد أدرك رواد الشعر العربي الحر هذه العلاقة بين الموسيقى الشعرية والواقع الجديد، ومأثوراتهم على موسيقى البحر وخروجهم إلى موسيقى التفعيلة، أو خروجهم من موسيقى البيت إلى موسيقى القصيدة إلا نتيجة تجربة جديدة في الحياة،فالموسيقى الجديدة في الشعر الحر تعبر عن علاقة جديدة بالعالم"[3]. وهذا يعني أن الأوزان عندما تكون حرة

---

[1]سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث (مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية) دار المعارف، الإسكندرية، ط2، 1983 م، ص 15."""

[2]عبد الحكيم دهيمي،" بين الرسم بالكلمة والرسم والإيقاع في التجربة الشعرية العربية الحديثة،" مجلة المعنى، المركز الجامعي خنشلة، العدد 1، 2008، ص 115.

[3]فاتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005 م، ص 252.

تسمح للشاعر أن يكون حرا في التعبير عن تجربته المميزة دون أن يكون مقيدا ببعض القيود التي قد لا تلائم طريقة تعبيره دون التقيد بتفعيلة واحدة أو قافية واحدة.

وقد رأى أصحاب الشعر الحر أن إيقاع القصيدة الكلاسيكية لا يتجاوب مع موضوعات الواقع الجديد، وللقضاء على هذه المشكلة بين الشكل الموسيقي والموضوع لابد من أن يأتوا بشيء جديد من أجل تحقيق الوحدة العضوية للقصيدة، وتحقيق موسيقى تلائم ذات الشاعر المعاصر "وينطلق الحيدري من هذه الثنائية التي انطلق منها البياتي إذ يرى أن الموسيقى القصيدة الكلاسيكية لا تتفاعل مع موضوعات الحياة الجديدة فالوزن السابق على الموضوع، وللقضاء على هذه الثنائية بين الشكل والموضوع حاول رواد الشعر الحر البحث عن بديل يحقق الوحدة فهتدوا إلى موسيقى جديدة تتجاوب مع نفس الشعر الحديث، لقد خلصوا إلى تجربة جديدة أصبحت فيها الموسيقى خاصة بالقصيدة كلها، وليست خاصة بالبيت كما في التجربة القديمة"[1]فالإيقاع الموسيقي هو عبارة عن انفعال ذاتي يزداد كلما ازدادت الحالة النفسية وشدة التأثر للشاعر، بعد ذلك يتحول ذلك الإيقاع الصدر من الانفعال إلى وزن "فالإيقاع يصدر أصلا عن انفعال يزداد نزوعه تلقائيا إلى تبلور في صيغة وزن كلما ازداد توهج الانفعال وانطلاقه، فالإيقاع مصدره انفعال ينزع إلى الانتظام في وزن وليس مجرد انفعال عادي مضطرب"[2]، إذا فمصدر الموسيقى شعور نابع من الإحساس.

تتضمن القصيدة الجديدة نثرا أو وزنا مبدأ مزدوجا: الهدم لأنها وليدة التمرد، والبناء لأن كل تمرد على القوانين القائمة، مجبر ببداهة، إذ أراد أن يبدع أثرا يبقى أن يعوض عن تلك القوانين بقوانين أخرى، كي لا يصل إلى اللاعضوية واللاشكل، فمن خصائص الشعر

[1] المرجع نفسه، ص 253.

[1] فاتح علاق ،مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر ،ص253.

أن يعرض ذاته في شكل ما، أن ينظم العالم فيما يعبر عنه"[1]. فالهدم في القصيدة الحديثة ليس مجرد لعب أو تمرد بل هو عبارة عن محاولة مميزة أو إبداع شعري على مستوى الشكل وهدفه هو إبقاء أثر عميق يميز القصيدة الجديدة عن القديمة.

وقد برز كذلك للتجديد على مستوى الموسيقى عند جماعة أبولو حين أقاموا ثورة مبهرة في تشكيل القصيدة، فساندوا الشعر الحر وقاموا بالتنويع في الأوزان والقوافي، "ولعلنا من ذلك نلحظ أن جماعة أبولو حاولت القيام بثورة تجديدية كبيرة في بناء القصيدة الفني، حين شجعوا الشعر الحر واحتفلوا بالشعر المرسل ونوعوا الأوزان وجددوا فيها كما عددوا القوافي ولونوها بألوان كثيرة"[2].

وهناك العديد من الشعراء الذين تأثروا بحركة التجديد في الشعر العربي الحديث عن المستوى الموسيقى الشعرية، وميلهم إلى الشكل الجديد المتعلق بالقافية والوزن عند الاتجاه الرومانسي لقد تأثر الشعراء بهذه البصمة، "ومن لف لفهما من شعراء الأجيال التالية، وخاصة شعراء مدرسة أبولو كأحمد زكي، أبو شادي، علي محمود طه، وإبراهيم ناجي، ومحمود حسين إسماعيل، وأبي قاسم الشابي، وغيرهم، بتنوع الإيقاع الخارجي عند الشعراء الرومانسيين الغربيين وبميلهم إلى الشعر المقطعات، وتعدد القافية وتبدلها إلى غير ذلك من سمات الإيقاع في الرومانسية"[3].

---

[1]أدونيس علي أحمد السيد، مقدمة الشعر العربي الحديث، ص 116.

[2]صلاح الدين محمد التواب، مدارس الشعر العربي في العصر الحديث دار الكتاب الحديث، القاهرة، الكويت، الجزائر، (د، ط)، 1425 هـ، 2005 م، ص 176.

[3]محمد مصطفى أبو شوارب، إيقاع الشعر العربي تطوره وتجديده، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2007، ص 76.

كذلك "قد استطاع شعراء العصر الحديث وبصفة عامة كل الشعراء الرومانسيين – على ضوء المنطلقات الأساسية للفكر الرومانسي– أن يعمقوا مواقفهم من قضية التعبير بالصورة الإيقاعية وأن يجعلوا منها غاية في الكتابة الشعرية يبطلون بها مقولة الشكل القديم، الذي تتخذ من تتابع التفعيلات للبحر العروضي سواء كانت مركبة أو مفردة، ومن النمط الموحد للقافية المتسلسلة في القصيدة، الإيقاع الأساسي والصور الموسيقية المركزية في القصيدة، فراحت النظرية الرومانسية لدى هؤلاء الشعراء تجعل من الانسجام والتوافق بين الوزن وما يترتب عنه من انفعال الغاية الأولى للشاعر، أخذه بعين الاعتبار الدلالة المتوفرة أو التي يمكن أن تتوفر في الصورة الموسيقية المعبرة"[1]، وقد كان شعراء العصر الحديث خاصة الشعراء الرومانسيون بالتعمق في قضية التعبير عن المحتوى في قصائدهم بالإيقاع الموسيقي ويجعلون تلك الصورة الموسيقية ركيزة في كتاباتهم الشعريه يتحدون بها أقوال الشكل القديم، من خلال تتابع التفعيلة والتوحيد في القافية فذهب الاتجاه الرومانسي يوافق بين الوزن وانفعال الشاعر، وركز على الدلالة المتواجدة في الصورة الإيقاعية التي تعبر عن التجربة، إن هدف المجددين هنا هو إدخال تعديل على القصيدة القديمة حتى يتمكنوا من إبراز صورة جديدة، "أن الشعر العربي الجديد لم يبلغ الوزن ولا القافية لكنه أباح لنفسه –وهذا الحق لا مساراة فيه– أن يدخل تعديلا جوهريا علينا لكي يحقق بها الشاعر من نفسه وذبذبات مشاعره وأعصابه ما لم يكن الإطار القديم يسعف على تحقيقه، فلم يعد الشاعر حين يكتب القصيدة الجديدة يرتبط بشكل معين ثابت للبيت ذي الشطرين و التفعيلات المتساوية العدد والمتوازنة، ولم يتقيد في نهاية الأبيات بالروي المتكرر أو النوع على نظام

[1] عبد الحكيم دهيمي، بين الرسم بالكلمة والرسم بالإيقاع في التجربة الشعرية العربية الحديثة، ص 118.

ثابت"[1]. فالشاعر هنا أصبح متحررا كل التحرر من التقيد بالأوزان والقافية، وغير ملزم بالكتابة على نهج الشكل الموسيقي القديم.

ومن أهم النظريات التي اعتنت بالموسيقى للشعر العربي المعاصر هي النظرية الرمزية التي حاولت أن تصنع الموسيقى الأمثل من أجل التعبير الشعري، وذلك من خلال تجاوز الوزن التقليدي فأصبح الشاعر يحاول إيجاد نغمات إيقاعية مطابقة لكل خفقة روحه، وأصبح يتحدى الإيقاع الموسيقي، "ومن أبرز آثار النظرية الرمزية عنايتها بتحقيق الوضع الموسيقي الأمثل للتعبير الشعري سواء باستغلال الإيحاءات الصوتية في الألفاظ المفردة والمركبة، أو بتخطي الأوزان التقليدية لأنها تكره الشاعر على التضخيم عاطفته أو إضعافها بغية مطابقة هذه الأنماط الموسيقية، وعلى أيدي الرمزيين لم يعد الشعر يحاول منافسة الفنون التشكيلية كما كان الحال في زمن الشعر البرناسي، بل أصبح ينافس الموسيقى، كما لم يعد الشاعر نفسه معنيا بالتعبير عن المظاهر الرائعة أو الشكلية للحقيقة الخارجية بل بالعثور على النغمة الموسيقية المطابقة لكل خفقة من خفقات روحه".[2]

وبعد أن تحدثنا عن ملامح التجديد في الشعر العربي المعاصر والحديث على مستوى الشكل، خاصة على مستوى الإيقاع الموسيقي، وأهم الاتجاهات التي ساهمت في التجديد الموسيقي لا سيما على مستوى الوزن والقافية، وأن القافية هي الركيزة الأساسية في التنويع الإيقاعي، ودون أن ننسى الوزن الذي هو صورة للتنويع في التفعيلات، إذا فإن الإيقاع

---

[1] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، زيدة ومنفحة، ط3،2013م ص 65.

[2] محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1984 م، ص 362.

الموسيقي يشمل الوزن والقافية، ومن هنا سنتطرق إلى تعريف القافية والوزن وبعض النماذج أو المحاولات التي قام بها شعراء الشعر الحديث والمعاصر.

ا. القافية:

تعتبر القافية مظهرا من مظاهر البناء الإيقاعي سواء في الشعر القديم أو الحديث، فالقافية هي عبارة عن قيمة إيقاعية، وهي جزء مهم في البيت الشعري، تعرف على أنها تكرر بعض الأصوات في آخر الأبيات في القصيدة، وهذا التكرار للقافية ضروري لا يستغننى عنه، "ومما... لا شك فيه أنها قيمة موسيقية بوصفها عدة أصوات تكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات ... وتكررها هذا يكون جزء هاما من الموسيقى الشعرية"[1].

والقافية في حقيقتها "وحدة صوتية مطردة على نحو المنتظم في نهاية الأبيات، وقد اختلف العروضيون في تعريفها وتحديدها، فمنهم من ذهب إلى أنها الحرف الأخير أو الكلمة الأخيرة من البيت إلا أن الغالب هو عدد القافية: مجموعة الحروف التي تبدأ بأول حرف متحرك قبل آخر الساكنين في البيت الشعري"[2]، ويعني ذلك أنها العنصر الذي يعكس الموسيقى في الشعر لأول وهلة.

أما بالنسبة للتجديد على مستوى القافية فالمحاولة في التنويع فيها هي جوهر التجديد على مستوى الإيقاع الخارجي، "وأغلب الظن أن سائر محاولة التجديد الإيقاعي التي أقدم عليها شعراء العربية على مدى العصور المختلفة، تنحصر على مستوى موسيقى (الإطار

[1] محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 237.

[2] مصطفى أبو شوارب، إيقاع الشعر العربي تطوره وتجديده، ص 19.

الخارجي) في تنويع القافية وتعديل موضوعيتها، حتى ليمكننا القول بأن إعادة تنظيم النظام القافوي هي جوهر التجديد في الموسيقى الخارجية للشعر العربي"[1].

فالقصيدة الجديدة ظهرت قضية القافية الجديدة، وهذا بسبب الحالة الشعورية المتفاقمة، إذ استغنى الشاعر القديم عن القافية القديمة وأصبح مقيدا بالجديدة المعروفة في التعدد والتصرف فيها بحرية فتعددت وتكررت القافية حسب الشعور، "ومن هنا استغنى الشاعر عن القافية المتحررة، تلك التي لا ترتبط بسابقتها أو لاحقاتها الا بارتباط الانسجام والتآلف، دون اشتراك ملزم في حرف الروي، وبذلك صارت النهاية التي تنتهي عندها الدفعة الموسيقية الجريئة في السطر الشعري هي القافية،من حيث أنها النهاية الوحيدة التي ترتاح إليها النفس في ذلك الموضع، فالقافية في الشعر الجديد ببساطة نهاية موسيقية للسطر الشعري هي أنسب نهاية لهذا السطر من الناحية الإيقاعية"[2].

فالقافية الجديدة التي دعا إليها شعراء العصر الحديث تختلف عن القديمة، لأنها حاولت أن تشكل للروي صوتا متنقلا مختلفا، وسهلت من انتقال للأسطر الأخرى بكل حرية، "فالقافية القديمة إذا قد تسهل من أمرها الحصيلة اللغوية، ولكنها بعد ذلك هذا تشل حركة التموج والتلوين الموسيقي في القصيدة مثلا، أما القافية الجديدة فقد حاولت أن تشاكل بين القافية ودور حرف الروي، أو بعبارة أخرى حاولت أن تجعل حرف الروي صوتا متنقل قد يختلف من سطر إلى آخر وقد يتفق، وفقا ما يحتاجه الإطار الموسيقي العام للسطر والأسطر، وبذلك صارت القافية هي أنسب صوت أو كلمة ينتهي بها السطر الشعري بحيث يمكن الوقوف عندها والانتقال فيها إلى السطر التالي، في القافية الجديدة إذا تتيح للقارئ

[1] المرجع نفسه ص 6.

[2] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص67.

الوقوف والحركة في آن واحد، في حين كانت القافية القديمة تلزم بالوقوف"[1]، إذا فالقافية الجديدة تختلف عن القديمة من حيث الحركة، حيث أصبحت تتصرف من طرف الشاعر من حيث الموضع والتبعية للموضوع.

ومن من حاولوا التخلص من القافية القديمة هم جماعة الديوان ومطران، حيث حاول التجديد في القافية من خلال "تطوير الصورة الموسيقية بالتحرر أحيانا من القافية، واستخدام القافية المزدوجة ونظام المحفوظات كما حاولوا في محاولات قليلة أن يستغيضوا عن نظام البيت الشعري بمصراعيه بالكتابة في سطور الشعرية"[2].

ولقد "استخدم الشاعر الحديث نوعا من التقنية لتنسيق موسيقى جاء في نهاية السطر الشعري، وفي نهاية الوقفة النفسية الكاملة وأجزائها في القصائد التي تعتمد على الدورات النغمية والموجات الشعرية، ولهذا كان لزاما على القافية بعد أن أصبحت أنسب صوت يمكن أن تنتهي عندها الوقفة الانفعالية والانتقال منها إلى دفقة جديدة، أن تتخلص من مشكلة حرف الروي الذي تحول بدوره إلى أن يكون صوتا متنقل متغير أو متفقا لكنه لا يخضع لتنظيم خارجي مفروض"[3]، فالشعر الحديث عمد الى توظيف نمط خاص حتى تكون الموسيقى متناسقة في نهاية السطر الشعري، خاصة في آخر الوقفة التي يعبر عنها الشاعر حسب حالته النفسية فهكذا كان لزاما على الشاعر المجدد بعدما أصبحت القافية مناسبة لكل صوت أن ينتقل بوقفته الانفعالية من صوت لآخر.

---

[1] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص 114.

[1] عزدين إسماعيل ،الشعر العربي المعاصر ،ص114

[3] سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، ص 242.

فرواد الشعر العربي الحديث في حركتهم التي تقوم على التجديد في مختلف المستويات خاصة على مستوى القافية، قد أكدوا على التنويع في الموسيقى وهذا التطور الإيقاعية، أدى إلى نفي القافية الموحدة للشطر الثاني آخر البيت، بل أصبحت القافية الجديدة تتراوح من التقارب والتباعد، إذ "لم يعد ثمة وجود للقافية المتوقعة التي تلتزم موقعها في نهاية الشطر الثاني من كل بيت، فقد أصبحت القافية متقاربة حينا ومتباعدة حينا آخر، وربما خلت القصيدة من القافية كلية"[1].

ويمكن أن نرصد بعضا من خصائص القافية في الشعر الحر مثل: "عدم انتظام في موقعية القافية من حيث وجودها بعد عدد غير محدد من التفاعيل ، عدم الانتظام في حرفها و نوعها و شكلها ، اذ من الممكن ألا تظهر في القصيدة الواحدة غير قافية بحروف مختلفة و أنواع مختلفة و أضرب مختلفة –ثالثا منا الممكن ألا تظهر القافية أساسا في قصيدة الشعر الحر " فالقافية قد عرفت في الشعر الحر بهذه الخصائص المتمثلة في عدم انتظام القافية في موقعيتها وظهور القافية بحروف مختلفة، وأحيانا لا تظهر القافية أصلا في الشعر الحر

ب- الوزن:

يطلق على الوزن (التفعيلة)، وهي معناها أن اللفظ يتم بناؤه على ثلاثة حروف أساسية وهم الفاء والعين وحرف اللام، إضافة إلى المجموعة من الحروف الزيادة التي تم جمعها في كلمة واحدة فقط، فالوزن الشعري ليس مجرد وزن يزن القصيدة أو يحملها أو شكل جامد، فهو رغم شكله الخارجي إلا أن له قيمة هامة تتعلق بالانفعال مرتبط بالمشاعر

[1]محمد مصطفى أبو شوارب، إيقاع الشعر العربي تطويره وتجديده، ص 142.

2 المرجع نفسه ،ص 157.

المتعلقة بالإنسان، وهذا الانفعال الشعري ينشط الشعر ويمنح له حيوية مميزة، "أنا الذي لا نشك فيه هو أن للوزن رغم شكليته الخارجية قيمة انفعالية هامة تتعلق بتخدير الحواس من الناحية الفيزيولوجية كما أنه يرتبط بأحاسيس الفطرية لدى الإنسان وما يتصل بها من تمزيج بابولوجي مما يجعل من الشعر التعويض الضروري والحيوي لتوترات انفعالية كثيرة، وطبقا لذلك فإن الوزن ليس زينة تتزين بها القصيدة، بمعنى آخر أن الوزن ليس قالبا جامدا مفروضا على القصيدة من الخارج، بل أن الوسائل التعبيرية الفنية وبضمنها *******-- --- الوزن، تولد في لحظة الخلق"[1].

فالوزن مرتبط كل الارتباط بالعناصر الأساسية للقصيدة، أو تقريبا كل العناصر وهي لا تتطور ولا تتأسس إلا من خلاله وبداخل القصيدة لا تصبح لها قيمة اذ لم يقم الوزن بضبطها لأن " الوزن في الشعر بخلاف النظم مرتبط بكل عناصر القصيدة بل أنها لا تنمو إلا من خلاله ولا تتشكل إلا عبر ظلاله، والموسيقى الداخلية إذا لم يضبطها وزن تبقى منفلتة ولا تصلح مجددا لموسيقى الشعر"[2].

فالوزن هو عنصر من عناصر الإيقاع وهو الإطار العرفي، بواسطته يغذي الشعر حركته الشعرية، سينتج أصوات مؤثرة تتكرر على المسامع لكن إذا أدت القصيدة سوى تكرار الأصوات المرتبة باستمرار فإن النتيجة ستكون احداث ملل، فالوزن المميز للشاعر المبدع القاعدة التي تسمح له بالذهاب والعودة وتلك الحركة هي الإيقاع، "فليس الوزن كما تقول "إليزابيث درو" إلا عنصرا واحدا من عناصر الجرس، ولا يمثل النظام الوزني في نفسه إلا الإطار الآلي أو العرفي الذي يستطيع الشاعر في داخله أو بارتسامه له أن ينمي الحركة

[1] محمد رافي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 228.

[2] فاتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي، ص 252.

الشعرية، و ينصبوا العرف المأثور زخرفة من المؤثرات الصوتية المتكررة التي تمتع الأذن، ولكن إن لم تؤدي القصيدة شيئا سوى تكرار هذه المؤثرات في رتابة دائمة، فإن النتيجة ستكون مجرد خلق شيء يثير الضجر والملل، إنما نقرة الوزن المنتظمة بالنسبة للشاعر الحاذق هي الأساس، أول قاعدة التي يتباعد منها ثم يعود إليها، وهي عنصر في حركة أكبر وتلك الحركة هي الإيقاع"[1].

فالوزن الشعري هو تفعيله تتردد في البيت، حيث كل تفعيلة تعقبها تفعيلةمغايرة وكل التفعيلات التي تتكون في البيت تكون الوزن الشعري، "وقد سبق أن قلنا أن الإيقاع عبارة عن تردد وحدة نغمية على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة، وهذه الوحدة في الشعر العربي المعاصر هي التفعيلة التي قد تتردد بمفردها طيلة البيت كما في البحر الكامل مثلا (متفاعل ست مرات) وقد تشاركها هذا التردد تفعيل أخرى كما في البحر الطويل (فعولن/ مفاعيلن أربع مرات) حيث ترد تفعيل تعقبها أخرى مغايرة ثم الأولى مرة وثانية وهكذا، ومن مجموع التفعيلات في البيت الواحد يتكون الوزن الشعري"[2].

أما بالنسبة لأصحاب الشعر العربي الحديث فقد حاولوا بكل جهد ان ينوعوا في الوزن (التفعيلة) وأن يأتوا بموسيقى شعرية جديدة، وهذا التنويع شائع لديه بسبب أنه يمنح لهم الحرية في تجربتهم الحديثة دون قيود أو ملل، وينتج عن تماثل في وحدات الموسيقى، "وحجة أصحاب هذا الاتجاه أن الشعر في إطاره الجديد يتيح لهم الحرية عن تجاربهم

[1] محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص362.

[2] المرجع نفسه، ص 374، 375.

الجديدة، دون االتقييد بأوزان محددة تحد من هذه الحرية، إضافة إلى ذلك الملل الذي يترتب على تلك المساواة في وحدات الإيقاع والوزن في الشعر التقليدي كما يقولون"[1].

فذهب هؤلاء الشعراء الشعر العربي الحديث إلى التنويع في الإيقاع واشتقاق الأوزان، وهذا يعني عدم تقيد الشاعر بتفعيلة واحدة في القصيدة من خلال التنويع في البحور، "ونعني بتنويع الإيقاع يلي عدم التزام الشاعر بوحدة الإيقاع (التفعيلة) في القصيدة بأن يستخدم في القصيدة الواحدة أكثر من بحر موسيقي، وغالبا ما تكون الأبحر المستخدمة متقاربة الإيقاع، ومن ثم لا تعظم المفارقة التي يحسها المتلقي في انتقاله من بحر إلى بحر، وقد يكون هذا الإنتقال في داخل البيت ذاته بأن تكون الشطر الأول من بحر بعينه، و الشطرة الثانية من بحر آخر"[2]، أي يتم المزج بين بحرين، وهي طريقة انتهجها الرمزيون رغبة في تجاوز القديم.

فالشكل الشعري الجديد جرسه خفيف ولا يوجد فيه ضجيج لأن تنوع الإيقاع يرجع الى حرية الشاعر في استعمال التفعيلات، وهذا ما يجعل الأذن تستريح من الصوت المزعج القديم، "ثم ان الشكل الجديد لاشك أخف جرسا و أخفى موسيقيا وأقل دويا و ضجيجا ، فعدم ارتباط الشاعر بعدد محدد من التفعيلات يسمح له بمجال طيب من تنويع الإيقاع، وهو يهدم سيمترية العادة البارزة للبيت شطرين، فيريح الأذن من ذلك الوقع البدائي الرتيب الذي صار يؤلم الأذان الحساسة"[3]. فعل صحيح أن الواقع القديم يثير ضجيجا وإزعاجا؟!.

---

[1]صلاح الدين محمد عبد التواب، مدارس الشعر العربي في العصر الحديث، ص 217.

[2]محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص 396.

[3]محمد النومي، قضية الشعر الجديد، الطبعة العالمية، 16، 17، القاهرة، 1964، (د ط)،ص 396.

ومن أهم الشعراء الذين نادوا بضرورة التحرر من الشطرين ذوي التفعيلات الست هي الشاعرة نازك الملائكة، التي أكدت على التنويع في التفاعيل وترتيبها حسب ذكائها وبكامل حريتها، حيثً رأت الشاعرة أن تتلاعب بعدد التفاعيل وترتيبها مستخدمة في هذا التلاعب تفاعيل البحور الصافية وهي التفاعيل المفردة، وضربت مثلا بتفعيلة الكامل (متفاعلن) فرأت أنه من الممكن أن تكتب السطور الشعرية متفاوتة القدر من هذه التفاعيل حتى يتمكن الشاعر من الوقوف عند تمام المعنى"[1]، فالشاعرة هنا قد قدمت لنا مثال التفعيلة للبحر الكامل الذي يمكن الشاعر من كتابة أبيات متفاوتة التفاعيل حتى يستطيع البوح بارتياح ودونما قيود عروضية تثقل كاهله، وتفرغ عمله من الشحنة العاطفية المتفاوتة في الآن ذاته.

2_الصورة الشعرية

لقد اهتم الدارسون بالصورة الشعرية ومفهومها منذ القديم "فقديما كانت تقف عند حدود الصورة البلاغية في التشبيه، وحيث يضم إلى الصورة البلاغية نوعين آخرين هما: الصورة الذهنية والصورة باعتبارها رمزا"[2].

والصورة الشعرية هي عبارة عن تشكيل الكلمات اللغوية عن طريق خيال المبدع لتصوير واقع ما، فأغلبية الصور سواء كانت متعلقة بالنفس أو العقل مستمدة من الحواس، وهذا التصوير يدخل فيه الصور البلاغية، "فالصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس،

[1] سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، ص 213.

[2] فاتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي، ص 260.

إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية، أو يقدمها الشاعر أحيانا كثيرة في صور حسية"[1].

حيث يعتبر الجزء الحسي أساس التصوير في الشعر، فالشاعر لا يستطيع أن يبني صورا بديعة دون تجربته الحسية، "فإن التصوير الشعري يقوم على أساس حسي مكين وكل أثر رائع من آثار الفن، فيما يقال ليس إلا تعبيرا بلغة حسية عن معنى رفيع"[2].

أما بالنسبة لمحاولة الشعر الحديث التجديد على مستوى الصورة الشعرية، فقد سعوا إلى بنائها بشكل يتلاءم مع الرؤية الشعرية الحديثة، حيث عمد شعراء العصر الحديث إلى تشكيل صور جديدة تجاوز من خلالها الصور القديمة، وكل الصور التي قدمها الشعراء المحدثون ليس إلا نتيجة تجربة الفنان وتعمق إحساسه، مما ساعد في تشكيل صور جديدة تتوافق مع حالتهم النفسية.

فالصورة في الشعر الحديث قد احتلت مكانة أساسية، حيث تم تناول الصورة في الشعر المعاصر، كونها لا تخضع لمنطلقات وأصول ثابتة، بل "تلعب الصورة دورا مركزيا في الشعر الحديث، ويكاد الباحثون يتفقون جميعا على هذا الدور المركزي، وتأتي أهمية تناول الصورة في شعر الحداثة، بصفة خاصة، من كونها موضوعا مراوغا في معالجته،

[1] علي البطل، الصورة في الشعر العربي من آخر القرن الهجري (دراسة في أصولها وتطورها) دار الأندلس، ط2، 1981، ص 30.

[2] عبد الحكيم الدهيمي، بين الرسم بالكلمة والرسم بالإيقاع، ص192.

وذلك لأنه لا يخضع لمنطق ثابت وأصول مقررة يحتكم إليها جميع الباحثين في نتائج دراساتهم"[1].

والتطور الجديد للصورة الشعرية ومختلف الطرائق الجديدة التي اعتمدوا عليها مكنت للشعراء الباب الواسع لخلق صورة شعرية وإمكانية الإيحاء، والسمح هذا التطور بتحرير العلاقة التي تربط وتنظم بين الكلمات، "هذه الطرائق التي استخدمها الشعراء الحداثة، كما تذهب يمنى العيد قد فتحت المجال واسعا أمام إمكانية توليد الصورة الشعرية، وتركت الباب مفتوحا للإيحاء، فقط تحررت العلاقة التي تنظم الكلمات في تشكيلها الصورة، من ارتباطها بوجه الشبه المحدود، وتحركت في طرائقها الجديدة لتكتسب القدرة على الإبهام بالحقيقة واستشارة البحث عنها"[2].

حيث لم تعد الصورة في الشعر الحديث مجرد تشكيل جمالي غايته التزيين أو الشرح بل اصبح وسيلة للمعرفة الداخلية يستطيع الشاعر من خلالها التعبير عن رؤيته للعالم وإعادة تشكيله تشكيلا خاصة ينسجم مع تجربته الشعورية، فالصورة مصدرها العقل والعاطفة، وهي لا تولد لوحدها، بل تأتي مقصودة من عند الفنان وتتحكم فيها الشخصية الموجودة في التجربة الحسية، "ومعنى هذا أن الصورة لا تتقرر بمحض الصدفة بل تولد من جهد الشاعر الفنان على وفق انتقائية دقيقة تقررها الخصال الشخصية، لأنها عميقة الجذور في التجربة المحسوسة"[3]، فالصورة قريبة كل القرب إلى روح الشاعر.

---

[1] عبد العليم محمد إسماعيل علي ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1432 ه، 2011 م، ص 193.

[2] عبد العليم محمد إسماعيل علي، ظاهرة الغموض في الشعر العربي، ص 197.

[3] محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 176.

لقد ذهب الشعراء المحدثون والمعاصرون إلى اعتبار الصورة الشعرية الركيزة الأساسية التي تكون صفة للشعر، فالصور التي أتوا بها هي صور غامضة ومعقدة، تؤدي بالمتلقي إلى تركيب أطراف للصورة "فقد توجه شعر الحداثة العربية بكليته نحو الصورة باعتبارها المرتكز الأساس الذي يعطيه صفة الشعر، ولما كان الشعر الحديث مغامرة دائمة ومجازفة كما يذهب رجاء عيد فقد جاءت الصور التي يحملها صورا مركبة معقدة، وربما أدت إلى تشتيت ذهن المتلقي في لملمة أطرافها"[1].

والصور في الشعر الحديث عرفت بتشابك أطرافها فكان لابد للشاعر أن يستخدم صورا جديدة ذات الطاقة حيوية، تأتي من التجارب الذاتية ولا تمثل تلك الصور العقلية الجاهزة، حتى تصبح صورة شاملة وعميقة المعنى في القصيدة بحد ذاتها في الإيقاع الخارجي وبهذا التشابك للصور وتداخلها في بعضها البعض يحقق التكامل في النص، "فالقصيدة الحديثة ظفرت الصور مع بعضها البعض في نسق كلي، هو الذي كون السمة البارزة للنص بعد تخليه عن الإيقاع الخارجي، فأصبح الشعر كأنما هو التفكير عبر الصور التي تتزاحم مع بعضها البعض ... يعطيه طابع التطور وصولا إلى وحدته الكلية التي تتشابك وتتداخل لتكون المشهد الكلي الذي يبلوره النص"[2].

فالصورة في الشعر الحديث لا تأتي من أجل توضيحها للمعنى فقط، وتجعل المتلقي يفهم دلالة الدال، بل هي تأتي من أجل إثارة الدهشة والغرابة، وهذا التفكير الجديد للصورة الشعرية هو عبارة عن تغيير لأساليب التعبير عن الأشياء ،وهكذا لجأ الشعراء إلى طرائق

[1] عبد العليم محمد إسماعيل، ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ص 197.

[2] محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 176.

جديدة من أهمها الرمز والأسطورة والخيال واللغة وغيرها من العناصر المغايرة للتشكيل الصوري القديم.

ا. الصورة والخيال:

"الخيال كما هو معروف جوهر العمل الشعري والأدبي عموما، فلا يذكر الشعر إلا مقترنا بالخيال، وإذا كان لابد من تعريفه فهو تلك القوة التركيبة السحرية التي تشيع نغما وروحا يمزج و يسهرالملكات إحداهما بأخرى،انه حالة عاطفية غير عادية وتنسيق فائق العادة، فالخيال إذن أداة أجل مزيد من الإضاءة للواقع، وكلما اشتط واغرب، توحد أكثر مع اللغة للشعر الذي التي تمثله في الإغراب والإدهاش معا، ولذلك لا يمكن للخيال إلا أن يكسو الأشياء شيئا من الضبابية فتحتفظ بشيء من أسرارها المجهولة ومن هنا فهو أداة لا غنى عنها للفنان"[1]، فالخيال أداة أساسية للشعر المبدع فبدون الخيال يصعب تخيل وتصور الأشياء والحوادث.

يمثل الخيال إذا الصورة في الشعر ما دون أن ننسى الصور الحسية التي لا توجد بدون الحواس، وهذا الخيال يدخل فيه الصور البلاغية من تشبيه ومجاز وغيره، "فالصورة تشكيل لغوي، يكونها الخيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية، وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية أو يقدمها الشاعر أحيانا كثيرا في صور حسية، ويدخل في تكوين الصورة بهذا الفهم ما يعرف بالصورة البلاغية من تشبيه ومجاز".[2]

---

[1] محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 177.

[2] علي البطل، العودة في الشعر العربي آخر القرن الهجري، ص 30.

حيث تطور الخيال وأصبح لغة أو وسيلة للتعبير عن عالم خاص كونه يجعل الصور تتداخل فيما بينها، فذهب الشاعر الحديث يسترسل في الإبداع فأصبحت القصيدة يغزو عليها الخيال، وأصبح كالسحر الذي قدم للشعراء الراحة والحرية في تأليف أشعارهم. "ولقد راح الفنان الحديث يخلق لنفسه عالما جديدا من خياله، ويبدع بالكلمة الشاعرة وحدها مملكة تعتمد أن تعلن العداء على كل ما هو مألوف، وتتناقض كل ما كان يفوح برائحة الثبات والاطمئنان، بعد أن فقد الراحة والاطمئنان في الواقع التاريخي أو الموضوعي أو الروحي المحيط به، وأصبحت القصيدة الحديثة من ثم تمتلئ بأطلال الواقع الذي فككه الخيال الجريء ومزقه، إلى جانب عوالم أخرى غير واقعية تسبح فوقها وتكون مع تلك الأطلال"[1]، ذلك الشعر الذي يدفع الشعراء إلى تأليف شعره.

"كما نال الخيال منزل أسمى عند "كانت" والرومانسيين من بعده في العصر الحديث، فقد منح المتصوف الخيال أسمي ما يمكن أن يناله من قداسة وتقدير طول عصور الفكر العربي"[2]فالخيال والصورة الشعرية عند الرومانسيين لهم مكان هامة من حيث أن الشعر عباره عن مشاعر وأحاسيس وخيال واسع، في حياة الشعر تكمن من الحركات العاطفية لنفس الشاعر "فرأت هذه المدرسة الرومانسية في الشعر العربي الحديث أن الشعر تعبير عن العواطف والخيال والوجدان والذوق السليم، يقول شكري فإن حياة الشعر في الإبانة عن حركات تلك العواطف، وقوته مستخرجة من قوتها وجلالها من جلالها"[3].

---

[1]سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، ص 8.

[2]محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 178.

[3]سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، ص 122.

ومن خلال تعريفنا للخيال وأهميته في الشعر العربي الحديث والمعاصر، ولماذا لجأ الشعراء للخيال، يجب أن لا ننسى اهم العناصر الأساسية للخيال ومن بينها استعارة والتشبيه اللذان عرفها سمة بارزة في الشعر الحديث، فمن خلال التجديد في الصورة التي هي جزء من القصيدة ومبناها، حيث تحررت القصيدة من هذه القيود فأخذ الشاعر يعبر عن قضاياه في الصورة الفنية تتوافق مع الحالات النفسية، "فقط تطلعت الصورة الشعرية المعاصرة إلى أن تتجاوز حدود الاستعارة والتشبيه التقليديين فتعدت أطرافها وعناصرها لتصبح صورة من الحياة الإنسانية"[1]، فالشاعر هنا أراد التجديد مستوى الصورة حتى تكون نتاجا إحالة عاطفية شعورية.

إن التحرر في التجربة الشعرية فتح الطريق أمام أنواع التجارب في الاستعارات، وغدا الشعر الحديث الجيد شعرا متكامل، فأصبح الشعراء يستغلون قوة الاستعارة في جميع الأشياء، فالصورة في العصر الحديث وجدت قاعدة لنفسها تتحكم في تركيب الصور، "أما الصورة في الشعر الحديث فقد أوجدت لنفسها منطقا يحكم تركيبها، فقد عملت على إسقاط الموازاة بين المشبه والمشبه به أو بين المستعار والمستعار منه، واتجهت بعد ذلك إلى توظيف كامل الصياغات العربية: الجملة الاسمية، الجملة الفعلية، النعت والمنعوت، المضاف والمضاف إليه ..."[2]

[1] كاميليا عبد الفتاح، القصيدة العربية المعاصرة (دراسة تحليلية في البنية الفكرية)، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2007 م، ص 483.

[2] عبد العليم محمد إسماعيل، ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ص 195.

دون أن ننسى التشبيه الذي استعمل بكثرة في الشعر العربي الحديث، والتشبيه عند شعراء الطليعة قد استخدم لكنهم فضلوا الاستعارة أكثر منه، والشبيه يساعد في تنويع أسلوب الشعر إذا أحسن استعماله.

ب . الصورة والرمز:

تحدثت مفاهيم الرمز وتباينت التعريف حيث أطلق العرب على الرمز بإشارة "التي عرفها قدامة بن جعفر بأنها القليل من اللفظ المشتمل على المعاني كثيرة بإيحاء إليها أو لمحة تدل عليها"[1]، فالرمز هو الإشارة إلى أشياء تحمل معاني مكثفة أو الإشارة إلى شيء معنوي، فهو في الأساس تعبير عن الصور بطريقة مقتضبة "وليس رمز إلا وجها من وجوه التعبير بالصورة، وكثيرا ما تتحول الصور إلى رموز"[2]، فالشعر لا يخلق صورة من عدم، هل يستعين بالمدركات الحسية المخزنة فيقيم تفاعلا من نوع خاص، "فالرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر، والتي تمنح الأشياء مغزى خاصا وليس هناك شيء ما هو ذاته أهم من شيء آخر بالنسبة للنفس وهي بؤرة التجربة"[3]، ومن هنا نستنتج أن كل شاعر يخلق الرمز الذي يتناسب مع موضوعه ويحاكي حالته الشعورية بطريقه يحافظ فيها على معناه متفق عليه، وفي الوقت نفسه يصيغ عليه خصوصيه تحتكم إلى نصه.

---

[1] أسماء خوالدية، الرمز الصوفي في الإعراب بداهة والإعراب قصصا، دار الأمان، لبنان، ط1، 1453 هـ، 2014 م، ص 27.

[2] محمد علي الكندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (بيان ونازك والبياتي) دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 52.

[3] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص 53.

ولقد استخدم شعراء العصر الحديث الرمز بكثرة في الشعر العربي الجديد "حيث أصبحوا مولعين به، فوظفوه في قصائدهم بكثرة من خلال دلالات رمزية تحتوي على قوة التأثير الشعري، من خلال هذا الاستعمال المفرد يستعينون بذلك الوصول إلى ما يريدون فيعبرون عنه صراحة، أو يؤمنون إليه تلميحا، أو يغمضون عن قصد فيتركون القارئ في ضرب من متاهة مظلمة"[1]، ليصبح الرمز ضربا من الألغاز.

فالنص الشعري المعاصر لا يكاد يخلو من الرمز، خاصة توظيف الأسطورة باختلاف أشكالها، في الرمز الأسطوري من أكثر الرموز استعمالا في الأدب عامة، فهو يحيل إلى عدة دلالات يقتبسها الشاعر من أكثر حضارة واحدة، فالأسطورة هي توأم الشعرية يستعملها الشاعر لما لها قدره إيحائية ودلالية لا متناهية، فهي تعبر عن الخلق والإبداع، يعتمد عليه الشعر في التعبير عن تجربته، "والأساطير هي الأدوات التي تناظر بها على الدوام من أجل أن تفهم تجربتنا"[2].

وبما أن الشاعر العربي المعاصر قد وظف الرمز الأسطوري في شعره، فهو هنا يعتبر خاصية فنية في التعبير الشعري و"من أبرز الظواهر الفنية التي تلفت النظر في تجربة الشعر الجديد الإكثار من استخدام الرموز والأسطورة أداة التعبير، وليس غريبا أن يستخدم الشعر الرموز والأساطير في شعره فالعلاقة القديمة بينهما وبين الشعر ترشح لهذا الاستخدام"[3]، إذا فالأسطورة جزء مهم في البناء الجديد.

---

[1] عبد العزيز إبراهيم، شعرية الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 2005، ص 54.

[2] سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، ص 168.

[3] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص 195.

وتوظيف الأسطورة في الشعر العربي كان لعدة أسباب وأهداف، من بينها أنها منحت الحرية للشاعر من أجل التعبير والتعمق في الحياة، "والأسطورة عندما استخدمت في الشعر العربي الحديث، استعملت باعتبار بعدا فنيا يضفي الجمال على العمل الشعري، وبعد وظيفيا يعمق رؤيته"[1]، فهي تحمل رسائل مميزة ذات أبعاد مختلفة.

ومن أهم الشعراء الذين استخدموا الأسطورة بكثرهم صلاح عبد الصبور، عبد الوهاب البياتي، أدونيس، أحمد عبد المعطي حجازي، خاصة بدر شاكر السياب، "ففي شعر السياب يستطيع الباحث أن يؤرشف قاموس للأساطير من تلك التي وردت في ديوانه، ففي قصيدة "المومس العمياء" وحدها نجد ما لا يقل عن عشر أساطير (ميدوزا، أهل بابا، أوديب، جوكست طيبة، أبو الهول، أفروديت، فاوست، هيلين، أبوللو، يأجوج)"[2]دون أن ننسى غيرهم من أساطير مختلف الشعراء.

علاوة على ذلك ظهور الرمز التاريخي في الشعر المعاصر وهو أن يستحضر الشعر في شعرهم مواقف تاريخية وشخصيات فاعلة في التاريخ، وهذا الرمز التاريخي عبارة عن قناع يتستر وراءه الشاعر محاولا تحقيق الوحدة الموضوعية، "ويعتبر القناع من الأساليب التي اتجه إليها الشعر العربي الحديث من أجل تحقيق موضوعية الرؤية الشعرية، فالقناع هو رمز اتخذه شعر الحداثة وسيطا ليبتعد عن النزعة الذاتية في التعبير الشعري"[3]، في الرمز التاريخي له أهمية تتمثل في الحقيقة التاريخية وقدرته على ربط التاريخ بالحاضر، فوظف الشعراء المعاصرون رموزا تاريخية تعبيرا عن الواقع السياسي، حيث "وجد بعض

---

[1]عبد العليم محمد إسماعيل، ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ص 214.

1 عبد العليم محمد إسماعيل ،ظاهرة الغموض ،في الشعر العربي الجديث ص 214.

[3]المرجع نفسه، ، ص 240.

الشعراء في البيت الأموي رموزا عبروا بها عن الاستلاب السياسي في الواقع العربي المعاصر، وعبروا كذلك عن مشاعر القهر والكبت التي تتسم بها بعض أنماط الحكم العربي، أو بعض رموزه الحاكمة"[1].

وآخر رمز وظف في الشعر العربي هو رمز الديني، حيث عاد الشاعر الى التراث الديني، حيث عرف ناصر لوحيشي رمز الديني بقوله "ونعني به كل رمز في القرآن الكريم والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد"[2]، اي توظيف سور القران الكريم وقصص الانبياء عليهم السلام كشخصية محمد صلى الله عليه وسلم، وأيوب، المسيح بعد الصليب، وهابيل وقابيل وغيرهم، فتوظيف الرمز الديني قد لفت الانتباه بسبب تنوع أغراضه شعريا وذهنيا، "ومن يتأمل التعبير القرآني يجد التأليف بين الفرض الديني والفرض الفني، وذلك فيما يعرضه من صور ومشاهد"[3].

3- اللغة الشعرية:

تعتبر اللغة الركيزة الأساسية التي يرتكز عليها النص الشعري في كل بناء فني، فهي الوسيلة الأولى للتعبير والكتابة، "واللغة هي ظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير، هي أول شيء يصادفنا"[4]، فاللغة الشعرية هي تلك التي تبدع فنا جديدا، وليس على الشاعر أن يعبر عن أشياء ما، بل هو الذي يخترع سمات خاصة خالية من البساطة

---

[1] كاميليا عبد الفتاح، القصيدة العربية المعاصر (دراسة تحليلية في البنية الفكرية)، ص 540.

[2] ناصر لوحيشي، الرمز في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص 66.

[3] عبد الناصر ياسين، الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية ،مكتبة الزهراء الشرق للنشر والتوزيع ،ط1،2006م

[4] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص 174.

والتعبير المتداول، "هذا يعني أن لغة الشعر ليست لغة التعبير بقدر ما هي لغة خلق، فالشعر ليس مسا رقيقا للعالم، وليس الشاعر الشخص الذي لديه شيء يعبر عنه وحسب، بل هو ذلك الشخص الذي يخلق أشيائه بطريقة جديدة"[1].

حيث تميزت اللغة الشعرية المعاصرة عن لغة الشعر القديم، فصار الاختلاف واضحا بينهم، وذلك أن لكل عنصر حالته وقضاياه، فكل عنصر يعبر بلغة تناسبه لما تحمله من تجارب حسية، وتعبر عن الحضارة التي تعيشها الأمة، فرأى الشعراء العصر الحديث بضرورة التخلص من اللغة القديمة التي لا تلائم العصر الحديث، وتأكدوا بأن لكل حضارة لغتها ولكل وقت معجمه، "ولقد صار الشعراء المعاصرون على وعي كاف بتلك الوظيفة حيث أدركوا أن الكشف عن الجوانب الجديدة في الحياة يتتبع بالضرورة الكشف عن لغة جديدة ... لقد أيقنوا أن كل تجربة لها لغتها وإن التجربة الجديدة ليست إلا لغة جديدة"[2].

كما حاول بعضهم بأن يصوروا على اللغة التقليدية وتجديدهم للغة بأن تكون بعيدة عن اللغة القديمة، وهذا بسبب عدم وملاءمتها للحياة المعاصرة، وعجزها عن التطور، "فحاول رواد الشعر العربي الحر أن يجدد الشعر من خلال تجديد لغته، وأراد أن يجدد لغته يغنوها من خلال احتكاك بالحياة الجديدة، لقد وجدوا إن اللغة التقليدية جامدة عاجزة عن مواكبة حركة الحياة فثاروا عليها، ووجدوا أن القاموس الشعري قد أصبح مجرد ألفاظ ميتة تحمل معاني محددة مكررة"[3]، إذا في اللغة القديمة قد تم تجاوزها كل التجاوز من طرف الشعراء العصر الحديث.

---

[1] محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص 127.

[2] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص 174.

[3] فتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي، ص 209.

فالشعراء الذين حاولوا التجديد على مستوى اللغة الشعرية رأوا أنه يجب أن يدخلوا تغييرا جوهريا على اللفظ القديم، وأنه يجب إيجاد جو مناسب للغة حتى تتأقلم مع الشاعر المبدع، فثاروا على المعجم الشعر القديم، "واللغة التقليدية التي جعلت الشعر الصناعة تكرر ألفاظه محددة لموضوعات محددة، فافتقر القاموس الشعري وجمد، ثارواعلى فكرة القاموس الشعر الذي فرزكلمات شعرية وأبعد كلمات بدعوى عدم شعريتها"[1]، حيث تم حصر ألفاظ الشعر نفسها، فأدى إلى حصر الشعر بذاته، هذا ما جعلهم يتمردون على المعجم الشعري القديم.

وقد تطرق معظم الشعراء المحدثين إلى ذلك من أجل التجديد في اللغة والقاموس الشعري، فاجتهدوا في إيجاد لغة متحررة تناسبهم في التعبير عن انفعالاتهم، "ولكن مهما اختلف الشعراء العرب المعاصرون في استخدامهم اللغة الشعرية فانهم يجتمعون على هدف واحد وهو بلوغ النضارة والمعاصرة، باستعمال قاموس متحرر من تراث الأربعينيات، وهم يظهرون نحو استعمال الكلمات بشكل أكثر موارية، ... وهم يبحثون عن لغة أكثر حركية قادرة على التعبير عن الوضع الحديث للإنسان في الوطن العربي"[2]، فالشاعر المبدع والحيوي لابد لهم من لغة ذات طاقة مرتفعة تتناسب وتساعده في التأقلم مع الواقع المعيشي، والملابسات المفروضة.

فلم يعد الشعر المعاصر يرى اللغة مجرد أصوات ذات معنى محدد، بل صارت تجسد الوجود والتجربة، "كما تميزت لغة الشاعر على حدة، بل كانت تتميز لغة القصيدة

---

[1] فتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي، ص 212.

[2] سلمى الخضراء الجيوسي الدكتور عبد الوداد لؤلؤة، اتجاهات في الشعر العربي الحديث، مركز الدراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001م، ص 734.

بميزة التفرد ذلك أن ضرورة الالتحام بين اللغة والتجربة، وهي الضرورة التي يحس بها ويقررها الشاعر المعاصر، من شأنه أن تجعل لكل جزيئة من جزيئات الوجود أي كل تجربة جزئية لهذا الوجود لغتها الخاصة"[1]، وهكذا صار الشعر للشاعر هو التجربة والحياة، فهجروا الألفاظ القديمة المملوءة بالحشو والقالب اللغوي المعروف، وعمدوا إلى "لغة مصفاة ومركزة، فلا تسمح للشاعر باستخدام اللفظ إلا أن يكون اللفظ الأوحد الذي يحمل أكبر طاقة من الفعالية في السياق، أما الألفاظ التي تأتي "حشوا" وقوالب التعبير التي تأتي "إسعافا" فلم يعد لها مكانة في هذه اللغة"[2].

وهناك تغيرات طرأت على مستوى اللغة في القصيدة من حيث التركيب أيضا، إذ "لا يقتصر التغيير في اللغة الشعرية على استخدام المفردة، أو اقتباس الألفاظ ذات المدلول الخاص من التراث، وإنما شمل هذا التغيير والتجديد طبيعة الجملة، ومدى امتدادها وطرائق تركيبها وما يعروها من حذف أو زيادة، وتقديم وتأخير"[3]، هذا بالنسبة للتركيب النحوي للخطة الشعرية، أما المظهر الثاني الذي ساد في الشعر العربي الحديث هو الانزياح الأسلوبي وهو الخروج من لفظ العادي إلى لغة غريبة نوعا ما، " ولعل من المظاهر التي سادت الشعر الحداثي على المستوى اللغوي (الدلالي) ظاهرة الانزياح الأسلوبي، وهو ضرب من الخروج على المألوف ونوع من الاحتيال يقوم به المبدع لجعل اللغة بما فيها من ألفاظ وتراكيب تعبيرا غير عادي"[4]وهذه الإنزياحات الأسلوبية تضفي على القصيدة المعاصرة لغة غامضة.

---

[1]عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص 180.

[2]عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر،ص 184.

[3]إبراهيم خليل، الشعر العربي الحديث، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1424 ه، 2003 م، ص 328.

[4]المرجع نفسه، ص 330.

II . من حيث المضمون:

مع ظهور الشعر الحديث تأثر الشعراء بتجارب وقضايا العصر: الاجتماعية والثقافية ... وغيرها.

وانتشرت عدة أنماط للشعر: كالشعر الرومانسي، والشعر القومي، والشعر الاجتماعي، والشعر السياسي، والذي أكد أن مشكلات الحياة بما فيها من الصراع وتناقض ... وآلام وآمال ... هي من إحدى المواضيع التي تكسب الشاعر مكانة مميزة في مجتمعه وبين أفراده.

ثم أن خوضهم في تلك القضايا كان هدفه استنباط موضوعات حية قابلة للتناول، ومناسبة للعصر باعتبار أنهم لم يعودوا يتقبلون أي شيء تقليدي قديم فقرروا التمرد، ونبذ المبذول والمملول.

1-الشعر والمدينة:

برز اهتمام الشعراء في العصر الحديث بالمدينة بشكل واضح، فاتخذوا منها موضوعا لأشعارهم وتم اختيار المدينة كموضوع لاختراقات الشاعر، وعذاباته النفسية، وبعد الظروف الاجتماعية منها والسياسية ... وغيرها، وبدأت هذه المواجهة بين الشعر والمدينة منذ رحيله إليها ليكمل ما ينقصه، غير أنه برز اختلاف واضح حول سبب اختيار هذا الموضوع.

"وفي هذه المناسبة تلوح لنا مسألتان: الأولى تتعلق بمصدر هذا الاهتمام بموضوع المدينة، والثانية تتعلق بتجمد الموضوعات الشعرية".[1]

[1]عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص 326.

برز اهتمام القراء حول تجلي موضوع المدينة بكثرة في قصائد الشعراء إلى أمرين كما هو موضح، ويعود هذا إما إلى أهمية هذا الموضوع وتأثرهم به بحد ذاته، وإلى نقص وانعدام الموضوعات التي تمكن الشعراء من أن يكتبوا فيها.

"ومهما قيل في شأن هذا التأثر فلا شك أن استجابة الشعراء المعاصرين لهذا الموضوع تتجاوز حدود التأثر، فلو لم يكن لهذا الموضوع وقع معين في نفوسهم، وما لم يكن كيانه البارز في واقع الحياة التي يمارسونها، ما ظفر منهم بهذه العناية الفائقة ... لابد أن ظروف الحياة التي يمارسونها والإطار الحضاري الذي يعيش فيه شعراؤنا المعاصرون، مواقع التجربة التي يعانيها هؤلاء الشعراء، هي التي ارتفعت بهذا المستوى إلى مستوى الاهتمام".[1]

دارت عدة مقولات حول شعر المدينة وهذا يرجع إلى الحالة المعايش، وإلى ما يختلج نفوسهم وشعورهم يراودهم من حين إلى آخر، وإلى ما فرضته عليهم الحياة. فكل هذا إذا جعل من هذا الموضوع يرتقي درجات عند أولئك الشعراء وأن يكونوا سببا في جعلهم يعبرون عنه، ويعتبرونه موضوعا حيا لتتغنى به قصائدهم. "أما فيما يختص بالخوف من تجمد موضوعات الشعر نتيجة لاهتمام كل الشعراء، ومعظمهم بنفس الموضوعات فإن المسألة في الشعر لم تكن في يوم من الأيام مسألة موضوع وإنما هي دائما مسألة تجربة شعرية في المكان الأول، فليس المهم أن تكشف لنا كل قصيده عن جانب من جوانب هذا الموضوع، بحيث تكون لكل قصيدة خصوصيتها وتفردها لا ينشآن إلا من خصوصية التجربة والرؤية الشعرية"[2].

---

[1] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص 326-327.

[2] المرجع نفسه،ص 327.

فإذا تحدثنا هنا عن الجانب الآخر لسبب تجلي موضوع المدينة بكثرة في شعر الشعراء المعاصرين ألا وهو عدم توفر الموضوعات التي تمكن الشعراء من الاعتماد عليها، وقد شدت انتباههم نفس الموضوعات وهذا ما أدى بهم إلى تكرارها. غير أننا ننفي كل هذا التصور لأن الموضوعات التي تتجلى في أشعار أولئك الشعراء ما هي إلا ما مر به من تجارب حياتية فرضت عليهم وسطرت على أنفسهم مما جعلها ترقى إلى حيز الاهتمام وعبروا عنها عبر قصائد وأشعار مختلفة. "ومما لاحظناه من نصوص المدينة فإن الشعراء قد اختلف صورة المدينة عند كل شاعر منهم"[1]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اختلاف نظراتهم لها. "فقد اقترنت صورتها بصورة الحسية أو صورة المناضلة عند بعضهم ... واختلفت الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحسب تجربته"[2].

إن اختلاف صورة المدينة عند الشعراء المعاصرين ارتبطت تارة بأحاسيسهم، وتعددت صورة الإنسان عندهم، فهناك إنسان أهلكه العشق وهام فيه، في حين أن هناك من أحس نفسه مرفوضا ومستبعدا. ومنه فقد تعددت رؤاهم للمدينة، وكان لكل واحد منهم نظرة خاصة رسمتها الأحوال.

إنّ الشعراء الريفيين الذين ألفوا الريف وخصائصه "هاجروا إلى المدن، فالصدام بينهم وبين المدينة لا يعني مقتا للحضارة ووسائلها، وإنما هو تعبير عن عدم الألفة بينهم وبين البيئة الجديدة لأسباب مختلفة"[3].

---

[1] خليل موسى، الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، ص 49.

[2] المرجع نفسه، ص 36.

[3] إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د، ط)، فبراير 1978 صفحه 28.

إن الإرتطام بين الشعراء المعاصرين وواقع المدينة ليس بالضرورة كرها للتمدن، أو مؤسسة هذه المدينة ومرافقها، وغير ذلك وإنما عدم التزام وانسجام بينهم لعدة أسباب، "وتحت وقع الإحساس وعدم القدرة على التكيف مع حياة المدينة وتقبلها ... هروبا من الجو السياسي الخانق، حدث أنهم صرفوا وجدانهم للريف. وتغنوا في أشعارهم بالقرية وبحيات الكوخ البسيطة والبريئة"[1].

إن حياة المدينة تختلف كل الاختلاف عن حياة القرية، مما جعل معظم الشعراء لا يستطيعون التكيف معها ويرضون بها أو يتقبلوها بشكل أو بآخر، والوضع السياسي السائد الذي جعلهم يحسون بعدم الارتياح، ، جعلهم ينفرون إلى سكون القرى والأرياف والحياة البسيطة الخالية من المتناقضات.

"فمن المعروف أن أول ما يحس به الريفي تجاه المدينة هو النفور من الضجيج الكثير والازدحام والتدافع، واضطرار إلى تغيير طريقته في المشي المتباطئ واستحداث سرعة ما لم يألفها من قبل ... والإحساس بالحيرة والخوف إزاء أدوات المواصلات وتعقيدها واللامبالاة في سرعتها دون تقدير لشعور المشاة، يرافق كل هذا انبهار مشوب بالرهبة من الأضواء والمباني والمنشآت الكبيرة"[2].

إن شعور الشاعر وإحساسه بالسكون والهدوء، والهواء النقي في قريته يجعله يتعارض والحال في المدينة، ويتملكه الاضطراب، فكثره الناس والضوضاء والضجة والحركة الغير المنتظمة تخلق في نفسه الرهبة، فهو اعتاد على حياة القرية فإذا به يلقى حالة عدم الاستقرار، وفوضى وبلبلة و صخب ناهيك عن المنشأات العمراينة الضخمة التي لم يسبق

[1] د. عز الدين إسماعيل، كتاب الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص 327، 328.

[2] د. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص 90.

له و أن رأى مثيلا لها من قبل، بما في ذلك الإنارات التي لم يعتدها في قريته الصغيرة البسيطة.

ولكن تحول الشعراء عن القرية إلى المدينة ... ظل الحنين إليها، ولم يتخلص الشعر من هذا الحنين إلا حين رسخ في نفسه أنه مهما نقم من حياة المدينة ما يزال جزءا منها ومحبا لها. ومن ثم طور موضوع المدينة نفسه على يد الشعراء ... فصارت تجربة المدينة خالصة بذاتها ومستقلة"[1].

فإذا تحدثنا عن هجرة الشعراء من القرى نحو المدينة، وبالرغم من تغير نمط حياتهم كليا، فهذا لا يعني انهم عاشوا في غنى عما عاشوه في قراهم، فالشوق و الحنين ظل يختلج نفوسهم و يسيطر على وجدانهم و يمزق قلوبهم ولم يتمكنوا من التخلص منه، ولا التخلص من جو المدينة في نفس الوقت. لأنه أصبح فردا من أفرادها وجزءا لا يتجزأ منها وهذا إذا ما جعل الشعراء يكتبون عن المدينة تجربة التشرذم والتمزق التي لازمتهم.

"والحنين إلى الريف وإن كان ضربا من الحنين إلى الوطن، يحمي معاني القلق والضيق وعدم الارتياح في المدينة، وما يلقاه الشاعر الريفي في مجتمع ما من صراعات شتى، فيهرب الشاعر –ولو في الخيال–إلى قريته ولو بسماتها الإنسانية"[2].

"ومن مظاهر معاناة الشاعر يتمثل في شعوره بالوحدة فيها، وربما ارتبط هذا الشعور بالحياة العاطفية للشاعر، حيث يتخذ هذا الشعور بالوحدة قويا ... رغم زحمة المدينة بالناس

[1] د. عز الدين إسماعيل، كتاب الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص 328.

[2] مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، الكويت، (د، ط)، 1415 هـ، 1995 م، ص 26.

وبالأشياء. فلم ترتبط بين الإنسان والآخر عاطفة حب تصبح المدينة وكان ليس بها إنسان وتضيق رغم اتساعها ... الشعور بالوحدة ليس مجرد أثر لانقطاع علاقة الشاعر العاطفية، وإنما هو انعكاس كذلك لوجه الحياة في المدينة ... ويتبع هذا الشعور بالوحدة ويلازمه الشعور بالضياع، فالإنسان في المدينة وحيد ومضيع أنه يفقد اسمه في زحمة الأسماء أو يفقد وجوده في هذا الوجود الضخم"[1].

ومن بين الأسباب التي جعلت الشعراء المعاصرين يعانون ويتألمون في قلوبهم والتي تجلت لنا بوضوح، هو شعورهم لأنهم وحيدون في هذه المدينة بالرغم من كبرها. وقد مس هذا الجانب من الشعور فيهم الصلة من جهة الولاء فرغم اكتظاظها إلا أنهم عندما يمسوجدانهم من ناحية الحب تصبح وكأنها غريبة وخالية ولا يوجد فيها إلا من يحب فقط. ولكن لا يمكن أن نعتبر هذا السبب –الوحدة سببها تأزم العلاقات الغرامية للشعراء–هو السبب الوحيد لشعورهم بأنهم موحدون في هذا العالم الكبير، فتلك الحياة القاسية التي فرضت نفسها عليهم في المدينة هي كذلك، فهو فيها يحس نفسه وفي تلف وله وإهمال ويجد نفسه في حالة نفسية تملكه الحيرة وغياب الهدف والتشتت الفكري والشعور بالوحدة والحرمان.

"إذا فمشاع الوحدة والضياع والغربة ... هو أثر من معاناتهم الحياة في المدينة بعد أن عاشوا تجربة الحياة في القرية في زمن الطفولة والصبا اليافع"[2].

كل المشاعر المحبطة التي تملكت الشعراء المعاصرين في المدينة كالحزن والبؤس، وشعور كل واحد منهم بأنه منفرد بنفسه، لا أصدقاء له، وكل هذا جاء بسبب الحياة التي

---

[1] د. عز الدين إسماعيل، كتاب الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص 334، 335.

[2] المرجع نفسه، ص 337.

عاشوها سابقا في أراهم وهم صغار. إذا فالمدينة فاجأتهم باختلافها المبهم بالنسبة لهم على عكس القرية.

"فالشاعر في المدينة محروم من المكان الأليف وهو الدار، لقد تسبب ذلك في ضياعه بين دروب المدينة، حيث يدور بين أبوابها الصامتة المغلقة، وينتهي حيث بدأ، وكأنه يدور في حلقة مفرغة، فالمكان "المديني" مغلق، والمغلق يشي بالسجن والكبت وعدم الانطلاق"[1].

إن هجرة الشعراء من القرية نحو المدينة حتمت عليهم أن يجدوا أنفسهم في حالة ضياع وسط المدينة موحشة غريبة، في جو يسوده الصمت والظلام والرهبة. كل منازلها مغلقة، ولا يوجد مكان بإمكانه أن يأوي إليه وكأنه محبوس، وداخل حلقة نقطة بدايتها هي نفسها نقطة النهاية.

"إن لكل عصر سماته الخاصة التي تفرض على الناس نوعا يعينه من الاهتمام ... الشعراء الذين نزحوا من الريف إلى المدينة، فظلت القرية حية في ضمائرهم ... أو الشعراء الذين نشأوا في المدينة وكانت لهم مع ذلك بالقرية علاقة"[2].

إن لكل زمان ومكان خصائص يتميز بها عما يسبقه أولية، ولكل زمان ومكان تجربة جديدة منفردة عن غيرها يعتبرها الشعراء محل اهتمام. كهجرتهم من قراهم نحو المدن حيث جعل هذا الموضوع يحظى باهتمام الكثير منهم لأنها لم تغادر أنفسهم ومخيلاتهم، والشعور بالشوق والحنين إليها، بقي حيا يراودهم من حين إلى حين، حتى من نشأ في رحم المدينة

[1] مختار أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص 57.

[2] د. عز الدين إسماعيل، كتاب الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص 327.

وكانت له ذكريات مع القرية جعلتهم يختارون الحديث عنها كموضوع، فإذا كان معظم الناس يعيشون تقريبا نفس الظروف. فمن الطبيعي أن تكون لهم نفس الاهتمامات وبالتالي نفس الموضوعات.

ومعاناة الزمن تتجسد في المشرق والمغيب، أول يوم وآخره أول العمر ونهايته، فلا يكاد مشرق الحياة يضيء حتى يسلمه إلى المغيب ... والزمان مرتبط بالمكان ارتباطا وثيقا، بحيث يصعب الفكاك بينهما، ولا شك أن معاناة الزمن أقسى"[1].

إن الخضوع لعنصر الزمن في المدينة ضروري، فقد أدرك الشاعرأنه أصبح يرتبط بطريقة العيش في المدينة كرها لا طوعا،إلاأننا نستطيع أن نقوم بتفريق كل منهما على حدا، لأن القهر والمعاناة من الزمن أكثر بكثير من غيرها.

"ومن أبرز ما يميز المدينة الإحساس فيها يعامل الزمن ... فالزمن عامل جوهري في حياة أولئك "الناس" الذين يعيشون في المدينة، بل هو ميزان العلاقات بينهم، فكل فرد له زمنه الخاص ... الزمن السيف المسلط على رقاب الجميع في المدينة"[2].

وهنا يتضح لنا أن أبرز عنصر أو عامل في المدينة هو عنصر الزمن، فالزمن في المدينة يحاكي حياة البشر ويختلف من شخص لآخر ويترك أثرا بالغا في نفوسهم وما يكتبون.

"وأن يفيد من الخدمات الكثيرة من تعليم، واستشفاء ووفرة في مواد الاستهلاك، ومعارض ومتاحف، ودور سينما، لم تكد هذه المزايا أن تنسيه أنه أيضا يجد فيها أن كل

---

[1] مختار أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص 57.

[2] د. عز الدين إسماعيل، كتاب الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص 331.

شيء محسوب بالزمن، وأن الساعة تتحكم في العلاقات والتصرفات"[1]، فبالرغم من توفر المرافق اللازمة والضرورية بشتى أنواعها بالمدينة، والتي تسهل العيش فيها والتأقلم بسهولة معها، غير أنه يجب أن يدرك أنها مرتبطة بعنصر الزمن هي الأخرى، وأنه هو من يتحكم في كل شيء إذا فلا بد منه، أن يحترمه ويجعل منه أمرا ضروريا، رئيسيا، وعاملا لابد من السير عليه، لقضاء حاجياته وتحسين علاقاته.

"وقد بدأت مواجهه الشاعر للمدينة، حينما رحل إليها بحثا عن وجوده الاجتماعي والسياسي"[2]، من ذلك أن معظمهم صار يرى أن القرية ربما لم تعد كافية لتثبت وجودهم وتلبي رغباتهم، وحتى لم تعد قادرة وليس بإمكانها أن تضمن لهم حقوقهم الاجتماعية منها، والسياسية ... وغيرها، كما جاء في القول أعلاه، فارتحل إلى المدينة بحثا عما ينقصه، وليكمل احتياجاته غير أنه وجدها على اختلاف تام عما كان يعتقد.

"فقد ساعد الشعراء إدراكهم للحقيقة انه في المدينة يمثل الوجه الحضاري لأمة، وبخاصةالوجهة السياسي"[3]،

بعد حين نما وعي الشعراء إلى أن المدينة هي الوجه الأساس للأمة هي التي تمثل الحضارات، وتعالج وبالأخص القضايا السياسية وتقوم بتوضيحها.

---

[1] إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص 90.

[2] سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، ص 267.

[3] د. عز الدين إسماعيل، كتاب الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، 326.

"وهذه الأخيرة تتشكل بحسب الانتماء العقائدي أو الوضع النفسي الفردي، فالمدينة "وعاء" لا يتغير وإنما الذي يتغير هو البنية التركيبية في مؤسساتها السياسية أو انتمائها من خلال العلاقة بينها وبين الشاعر، أو من خلال أزمة التحول يعانيها الشاعر نفسه"[1].

إنما يجعل الشعر يشعر بالارتياح النفسي، وبالانتساب إلى المدينة بعد أن كان يحس بأنه مبعد عن هاته البيئة التي أصبح ينتمي إليها، وذلك بحسب حالته النفسية التي تراودها أو تختلجه، في المدينة كما جاء في القول لا تتبدل ولا تتحول، وإنما ما يخلق هذا التقلب فيها هو ما يدور ربما في منشآتها التي تأسس لغرض معين، أو لمنفعة عامة، أو ما يربطها لهؤلاء الشعراء، أو سوء العلاقات واضطرابها.

"إذا فلابد من أن يعقد الشعر صلحا مع المدينة، لأنه هو الحال كذلك مجبر عليها، وهي التي تملك القنوات والجسور التي تحمل فكرة هو وجدانه لأمته ... وبإعادة النظر مرة أخرى سيكتشف أن المدينة ليست ... وفي الوقت الذي لم تحرم المدينة فيه تماما من مظاهر الطبيعة، فإن القرية في الحقبة الأخيرة لم تعد كما تركها الشعراء من قبل. وإنما تسربت إليها من المدينة بعض المكتسبات التي غيرت من معالمها ... مما ألحق الأدب بعض القيم التي كانت سائدة إبان رحيلهم"[2].

لم يعد حل آخر أمام الشعراء سوى أن يحسنوا من صورة المدينة في أذهانهم وقلوبهم، ولابد لهم من أن يرغموها ويلزموها على ذلك، فهي الوحيدة التي تهز أفكارهم وما يجول في قلوبهم وخواطرهم، وهذه المدينة هي مجرد مكان، ومن واجبهم اليوم أن يخلق الجو الملائم للعيش بسلام فيها. فهي ليست سيئة لتلك الدرجة. على غرار القرية التي تغير حالها،

[1] إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص 28.

[2] مختار أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص 66.

وأصبحت على عكس ما كانت عليه، ولم تعد تلك القرية البريئة التي حفظتها عقولهم، وتعلقت بها قلوبهم، فقط أنس إليها مجموعة مما تحمله تلك المدينة والتي جعلت منها قرية غريبة وموحشة، وسيئة، مست الفضائل الدينية فيها والخلقية والاجتماعية، على غرارها تركوها عليه عند مغادرتهم لها.

2_ شعر المرأة والحب:

شكل موضوع المرأة في الشعر العربي الحديث مظهرا جديدا، اختلفت فيه صورة المرأة كل الاختلاف عن المظهر التقليدي، صال شعراء العصر الحديث في حبهم للمرأة وعشقهم لها. وبرز في الفن على غير عادته في أشعارهم لها. وقل تأثر الكتاب والشعراء بصفة خاصة بأساليب الأدب الغربي وتطبعوا بها في موضوعات أشعارهم التي تبنت موضوع المرأة، وانفعلوا معه.

"ولئن كان أصحاب هذا التوجه في قضايا المضمون الشعري الحديث قد تأثر بالشعر الغربي ... شعراء الموجة الجديدة في إنجلترا وأمريكا، فإن ثمة عددا من الشعراء العرب توجهوا إلى جانب آخر على المحتوى ... وهو شعر الحب الذي ضغط عليه صبغة عصرية جديدة، نكاد لا نجدها ولا نقف عليها في الشعر العربي القديم في عصور ازدهاره"[1].

ومعنى ذلك أن الشعراء العرب الذين كتبوا عن الحب والمرأة تأثروا بالشعر الغربي بشكل كبير ومباشر، وكانوا بصدد الاطلاع عليه والتأثر به كما سبق وذكرناه، في الشعر الحديث طبعا. وقد شقوا بذلك طريقا جديدا ليغير في مضمون الشعر ويضيفوا عليه إلى كل

[1] إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط2، 2007 م، 1427 ه، ص 294.

ما هو جديد وعصري بعيدا كل البعد عن كل ما هو قديم، وعن كل ما جرت العادة بهم أن يؤولوا إليه ويكتب فيه.

ثم إن موضوع المرأة قد حظي باهتمام كبير من قبل الشعراء في العصر الحديث، كما لم نشهده من قبل، وقلنا بأنه احتل حيزا كبيرا، غير أنه وجب علينا التوضيح بأن المرأة هنا احتلت مكان كبيرة ومهمة كموضوع أكثر من كونها شاعرة بنفسها. الشعراء إذا يهتم بالشعر آنذاك وإنما اهتم بها هي نفسها وتأثروا بها، "ولم تكن المرأة عنصر تأثير ... بل كانت عنصر تأثر فحسب".[1]

إذن هنا يتضح لنا جليا بانه لا وجود للنساء أبدعوا في هذا المجال إلا القلة منهم، ولم تحضى أشعارهم بالرقي والاهتمام، ولم تكن تنافسيةأو عالمية. فلم تحقق نجاحا كبيرا في هذا المجال، ومنه فالمرأة هنا لم يكن بإمكانها التأثير في نفوس القراء، غير أنها لم تكن غائبة من الناحية الأخرى، فالمرأة عند الشعراء العرب المعاصرين باتت عنصرا تأثروا به، درسوه من جميع النواحي، كما أنهم قاموا بالخوص فيه أكثر وأكثر على عكس ما جرت به العادة قديما.تغنت أشعارهم بها، وتفننوا في وصفها، والتغزل بها، وذكر محاسنها، ومساوئها ... وما إلى ذلك.بطريقة عصرية، والتي دفعت أولئك الشعراء بالنهوض بشعرهم مرة أخرى نحو التجديد على غرار القديم الذي لم يعد محل إغراء أو استقطاب.

وقد برزت أسماء الكثير من الأدباء في هذا المجال، والذين أخذوا من الحب والمرأة موضوعا لأشعارهم، باعتباره موضوعا وحرك وجدانهم تارة. ولعب على أوتار مشاعرهم تارة أخرى."ومن الملاحظ ابتداء أن بعض الشعراء الحداثيين اتخذوا من الحب، موضوعا لازم الحضور في كل قصيدة وكل بيت. فكأنهم بذلك يكرسون شعرهم لهذا الموضوع، فيكادون لا

[1]عيسى الناعوري، أدب المهجر، دار المعارف، بمصر، ط3، 1977 م، ص 35.

يغادرونه إلى غيره. ولا يتركونه ليسهموا في أي شأن آخر. ومن هؤلاء نزار قباني الذي وصف بأنه شاعر الحب تارة، وشاعر المرأة تارة أخرى"[1].

إذا ما يتضح لنا جليا هنا بأن الشعراء العربي اختاروا موضوع المرأة، وفضلوه على غيره من بين المواضيع السائدة. واعتبروه بأنه حتمي في جل القصائد وخصصوا كتاباتهم له فقط.

وقد طغى موضوع الحب وموضوع المرأة في أشعار نزار قباني بصفة واضحة، حتى أن البعض كان يرى بانه قد اعتبر قضية الحب اهم من بعض القضايا الأخرى، لدرجه انه كان لا يرى سواها، وقد كرس شعره أو جل كتاباته لصالحها، "كما إن البعض يرى أن نزار شغل بقصه الحب حتى ألهته عن القضايا الكبرى في العالم العربي"[2].

وفي حديثه أيضا عن المرآه باعتبارها من أهم القضايا التي شغلت تفكيره، ودخلت بها أشعارها إلى جانب الحب، فنجد مرة مفتونا بها إلى درجة يكاد فيها أن يكون عبدا لها. كما نجده بالمقابل يظهر لنا عكس ذلك، ويقوم باحتقارها وكأنها لا تعني له شيء، مما يشير إلى التناقض الذي كان يتملك هذا الشاعر في نظرته إلى الجنس الناعم، وعلاقته معه.

"فهو يعبد المرأة تارة، ويحتقرها ويزدريها تارة أخرى. ففي إحدى قصائده يؤكد أنه يغوص في الموج باحثا في أعماق الأصداف عن أي شيء يستطيع إهداءه لتلك المرأة ...

[1] إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 294.

[2] إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص 135.

ومع ذلك لم نجده في مواضيع أخرى يؤكد أن علاقته بالمرأة علاقة عابرة حتى أنه يكاد لا يعرفها، ويكاد لا يعرف الشيء الذي أعجبه وجعله مفتونا بها"[1].

كما أنه كان يعتبر بأنه ما يختلج نفسه وما عبر عنه في أشعاره وطراز جديد لم يسبقه إليه سابقوه في القديم وأنه لغة شعر جديدة.

وهذه الحالة التي انتابت الشعر في أشعاره والتي تغنت مرة بالقبول، ومرة لم أخرى برفضه لهاته المرأة. يمكن لنا الحكم عليه بأمرين، فإما أنه لم يسبق له وأن شعر بالحب قط، وإنما كان عبارة عن موضوع جذب عقله ولفت انتباهه. مما جعله يكتب فيه وينتج من خلاله أشعار فنية بصيغة جديدة. تجذب انتباه القراء، أو يمكننا اعتباره بأنه عاش هذه التجربة التي تجلت في أشعاره كما قام بوصفها وتصويرها لنا تماما. فربما كان هو غير صادق في حبه، أو أنه عاش حالة حقيقية من الخذلان لم يكن بإمكانه كتمها.

3_ الشعر السياسي:

الشعر السياسي هو أحد أبرز الموضوعات التي جذبت معظم الشعراء المحدثين، ليحركوا أقلامهم بهدف محاولة التفسير من خلال تخليد بطولات ومؤثر من أجل نيل المبتغى، وذلك لأن هذا الشعر ظهر في أعقاب الحروب، إذ أن هناك بلدان كانت مستعمرة ونالت الاستقلال، في حين أن هناك بلدان أخرى بقيت تعاني ويلات الاستعمار.

وينقسم هذا الشعر إلى قسمين الشعر سياسي تحرري، وهو شعر جديد يدعو إلى شد الهمم ودعوة الشعوب إلى الثورة والتحرر. أما القسم الثاني منه وهو الشعر السياسي الوطني والذي يخلد المآثر ويشيد بالإنجازات ويفخر بها.

[1] إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 295.

كما أنه يتناول موضوعات سياسية كالاستعمار، والاستبداد، القضية الفلسطينية، والثورة الجزائرية ... وغيرها.

ا. موضوعات الوطن والقومية:

"شكل موضوع الوطن والسياسة الاستعمارية ... التي سادت في الوطن العربي من مشرقه حتى مغربه. فهي تمثل صورة حية عن تلك الجرائم التي عانت منها الأمة العربية ... ولعل السخط الكبير واللوم المستمر يقع على عاتق الشعوب تارة والحكام تارة ثانية. فكل واحد من هؤلاء ساهم في نكبة وطنه من حيث يدري، ولا يدري تاريخيا. لذلك كان شعر نزار قباني السياسي ظاهرة فنية نافذة لهؤلاء الحكام ورموز الفساد والهزائم النكراء لشعوبهم"[1]

ومعنى ذلك أن موضوع الوطنية والسياسة الاستعمارية كما سبق لنا القول في المقولة أعلاه والتي مست معظم الشعوب بصفة نكراء وبشعة حولت حياتهم إلى بؤس وقنوط، وجوع وتشرد، ونهب للحقوق، وعذاب واضطهاد.

وما يمكننا اعتباره السبب الرئيسي جراء هذه الجرائم الشنعاء أما الشعوب باعتبار أنهم تخاذلوا في نصر بعضهم البعض وتحريرها بالاتحاد ولم شملهم والوقوف في وجه الظلام المستبدين، وأما على عاتق المسؤولين عن هؤلاء الشعوب من أمراء، وحكام ... وغيرهم، الذين كان بإمكانهم حماية شعوبهم من عيش حياة الذل وتقاطر الدماء، ومستقبل الموت والفناء المحتوى الذي كان مسلطا عليهم.

فكل من هؤلاء كانت له يد في تغيير ما يفرضه المستعمر على هاته الشعوب، فين الشعوب وحدها قادره على ذلك ولا المسؤولون وحدهم قادرون بدون الشعب ومن بين الشعراء

[1]– رضاعامر الحداثة الشعرية ،مظاهرها ،خصائصها ، تجلياتها ، أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية و الإنسانية ،مخبر المؤسسة الجزائرية ،جامعة باتنة 1–الجزائر ،المجلة 1 ،ج1 ، 2019,ص113 الى 134,ص 129

الذين كتبوا في الشعر السياسي نجد الشاعر نزار قباني والذي اعتبر شعره نقدا لأولئك المسؤولين الذين يراهم مثالا للتلف، والعطب، والاضطراب والخلل الذي يمس الأوطان

ب . موضوع الثورة :

تعتبر الثورة تغيرا أساسيا من جانب الشعوب في الأوضاع السياسية، والاجتماعية لتغيير نمط العيش الذي فرض عليهم، ولكنه لم يلقا تقبلا منهم.

"وسنتحدث عن الشعر الثوري الذي واكب الثورة ... وعبر عن أهدافها، وسجل انتصاراتها فكان بذلك: لسانها الأمين، وسجلها الوفي، ومرآتها الصقلية التي عكست بطولة شعبنا الثائر من أجل الحرية والكرامة الإنسانية"[1].

إذن فالشعر الثوري قد ظهر تزامنا مع الثورة، وتحدث عما تسعى إليه، من أجل التحرر من قيود المستعمر ونيل الحرية بأي طريقة كانت.

وقد تحدث كثير من الشعراء عن الثورة الجزائرية ليلة أول نوفمبر، الليلة التي خلدها التاريخ وسجل بطولات شعبها وتضحياتهم، وأسمائهم بأحرف من ذهب في سجل الكفاح والحرية من أجل الوطن.

[1]عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري صالح جوده الدار القوميةللطباعة والنشر، (د، ط)، 2012م ص 57.

"فقد تغيرت فيها المفاهيم، وانقلبت الأشياء رأسا على عقب وتغيرت فيها حياة الشعب وتفكيره ونظرته إلى الفكر والأدب والسياسة وشتى نواحي الحياة الأخرى"[1].

هي فترة نمى فيها وعي الشعبي أهمية الثورة وضرورتها، وضرورة الفداء والتضحية بالنفس والنفيس لأجلها، وكتب عنها شعراء قصائده من بينهم شاعر مفدي زكرياء والتي سماها "ليلة القدر الكبرى.

"ولابد من الإلماح إلى أن الشعر الجزائري في هذه المرحلة قد تطور تطورا محسوسا من الناحيتين: ناحية الصياغة وناحية الموضوع ... أما من الناحية الموضوعية فقد رأينا كيف تعددت الأغراض واختلفت الموضوعات واخذ الشعراء يبحثون عن مواضيع جديدة. فبالإضافة إلى الموضوعات الوطنية والسياسية والقومية ... حاولوا طرق مواضيع أخرى"[2].

شهد الشعر في هذه المرحلة تطورا واضحا من الناحية الموضوعية، على غير ما جرت عليه العادة، فقط تعددت فيه الموضوعات واختلفت. وتجلت محاولاتهم في توليد الموضوعات بعيدا عن السياسة ...، كالمواضيع الاجتماعية منها وغيرها. كما أنهم لم يتخلوا بهذا عن موضوعاتهم القومية والوطنية كما سبق الذكر.

من الشعراء الحداثيين، من قاموا أحيانا بمزج الحب مع الموضوع السياسي الثوري، فإذا قرأنا أشعارهم في بدايتها تبدو لنا وكأنهم يخاطبون المرأة. أما إذا أكملنا القراءة وتمعنا فيها أكثر، اقتربنا من خاتمتها، فسنكتشف أن تلك المرأة التي تبادرت إلى أذهاننا في سابق

---

[1] المرجع نفسه، ص 58.

[2] عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري، ص 57.

الأمر ما هي إلا رمز للثورة. فهم إذا يستعملون المرأة للوصول إلى الموضوع السياسي، ومن هؤلاء الشعراء: عبد الوهاب البياتي.

"في بادئ الأمر لاحظنا في حديثه عن الحب، والعينين، والشعر، والوجه الصغير، كلها صفات المرأة، غير أننا إذا وصلنا القراءة واقتربنا من نهايتها تفاجأنا أن الموضوع التي تتبناه تلك القصيدة ليس في حبه للمرأة، وإنما هو موضوع سياسي". [1]

ج_ موضوع القضية الفلسطينية:

إن القضية الفلسطينية قضية كباقي القضايا التي شغلت فكر الشعراء في العصر الحديث، سواء كانوا فلسطينيين أو عرب لأنها قضية الأمة العربية كلها. لقد حاول هؤلاء الشعراء جعلها موضوعا مهما في أشعارهم وذلك لوعيهم بظلم الاستعمار الغاشم وبالمهانة، ذاك المستعمر الذي انتزع منهم أرضهم بين عشية وضحاها، دون سابق إنذار، فأحسوا بأنه بات من واجبهم أن يجعلوها قضية العصر والأمة، "ولعل أهم قضية عربية احتفظ بها الأدب الجزائري، هي قضية فلسطين، فقد نوه بها الكتاب في الصحافة الوطنية، وتغنى بها الشعراء في مناسبات متعددة مما جعلها الشغل الرأي العام فكانت حملات التطوع لتحرير فلسطين، وفتح مشاريع التبرعات لمساعدة الثوار، وتأييد الجيوش العربية ومقاطعة بضائع اليهود في كل مكان، كما خصصت الصحافة الافتتاحات الإضافية وأبواب الدائمة لدراسة طبيعة فلسطين وأهميتها التاريخية والقومية للعرب"[2].

---

[1] إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 302.

[2] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص 108.

اعتبر الشعراء الجزائريون بأن هذه القضيةالعربية مهمة جدا، بسبب الظلم الذي عاشته –ولا زالت تعيشه حتى الآن–والاحتقار، واغتصاب أراضيها بدون حق. فضلا عن كونها بقعة غالية علينا ومقدسة. وأنهم جربوا نفس الإحساس من الظلم والاستعمار ثم إن الواجب القومي قد حتم عليهم التحدث عنها من خلال أشعارهم، وعرضها في المناسبات تصل إلى أبعد مدى ممكن إلى الرأي العام، لزيادة فرص التعامل معها وإحياء روح العرب المتخاذلين في نصرة بعضهم البعض، وليكونوا يدا واحدة في محاربة هذا الظلم.

دعا إلى هذه القضية كثير من الشعراء العرب، ولا سيما الشعراء الجزائريون الذين حاولوا تصويرها تصويرا حقيقيا يمثل الواقع المعاش فيها بكل جوارحه وفظاعة وبشاعة التعذيب الجسدي الذي يتعرضون له، وألوان الإهانات التي تمس شرفهم وخصوصيتهم الاجتماعية والثقافية.

"فكتب عنها شيخ أدباء الجزائر محمد البشير الإبراهيمي، سلسلة من المقالات الافتتاحية ... كانت تفيض عاطفة، دعا فيها الشعب الجزائري إلى مزيد من البذل ومشاركة الشعب العربي هذه القضية القومية ... كل ذلك في شعر ينبض بالحب فلسطين والنقمة على أعدائها، والحزن على جزء غال من الوطن العربي تهدده الضياع، وتقاسمه الأعداء"[1].

أصبح الشيخ البشير الإبراهيمي هنا لسانا لهذه القضية يعبر عنها بكل جوارحه، وينقل آراء مجتمعه للم شمل كل العرب ووقف هذا الصراع المرير والأحداث الدامية الدائمة للعدو الصهيوني، وحاول بهذا أن يكون مراه عاكسه لأحوال هذا الشعب المريرة، وعدم الاستسلام في وجه هذا العدو.

[1]أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 108–109.

يهدد ويحذر شيخ الأدباء الجزائريين هنا الصهاينة بأنه مهما طالت الجرائم الشنعاء، التي يقومون بارتكابها والمجازر الشنعاء التي يقومون بها أنها ليست دائمة، وأن العرب سوف يحاربون باستعمال شتى الوسائل، بلسانهم أو بأجسادهم، وإن أطماعهم ستصاب يومئذ بالخذلان والانهيار وإن غرورهم زائل لا محالة، وأنهم صامدون وواقفون مع فلسطين إلى يوم النصر.

الفصل الثاني: أثر المعطى الحداثي والمعاصر على الشعراء العرب

I. صورة المعطى الحداثي والمعاصر في البيئة العربيةوانعكاساتها على الشعراء (الغربية الروحية)

1. **تعريف الغربة والاغتراب**
2. **مظاهر الغربة وأسبابها**
3. **تطور الغربة في التاريخ العربي وأثرها على الشعراء**

IIصورة الغربة الروحية في نماذج شعرية

1_بدر الشاكر السياب

2 . عبد الوهاب البياتي

3- ايليا ابي ماضي

إذا عرجنا على الشعر العربي المعاصر فإننا نرى بأن الشاعر قد انعكست عليه ظاهرة نفسية مؤسية خاصة مع تعقيدات الحياة، حيث تأثر الشعراء بأوضاع مجتمعهم، فجاء الشعر العربي في الفترة المعاصرة تجديداته على مستوى الشكل والمضمون، تبعا لما عاشوا الفرد في مجتمع يسوده التوتر والقلق، فأصبح متغربا عن مجتمعه وعن نفسه، وفي ظل تلك الحياة وظروفها وتقلباتها احس الشاعر بالغربة والتبعثر، فالغربة أصبحت سمة الشعر المعاصر ونصوصه، تحكي عن غربتهم ومعاناتهم وسط المجتمع المعاصر، "فالاغتراب لا يمكن أن يكون ولد مع ولادة الإنسان على هذه الدنيا، لكنه ربما وجد ولكن بمستويات متعددة تبعا للثقافة الشعبية، والمشاكل الاجتماعية"[1]، فيا ترى هل هناك أسباب أدت إلى الغربة! وكيف أثرت على شعراء الشعر العربي؟

[1]أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء، عمان، (د،ط)، 2013، ص 16.

صورة المعطى الحداثي والمعاصر في البيئة العربيةوانعكاساتها على الشعراء (الغربة الروحية)

تعريف الغربة والاغتراب

لغة:

تعددت معاني الجذر (غَرَّبَ) مما جعله أكثرصعوبة في تحديد مفهوم واحد له، ولكن في أغلب الأحيان نجده يتداخل مع (الغموض والبعد)، ففي المعاجم القديمة يعود إلى مفهومه اللغوي إلى أصل كلمة (غرب).

فقد جاء في لسان العرب "غَرَّبَ أي بعُدَ، والغربة والغرب، النزوح من الوطن والاغتراب، والتغريب، واغترب الرجل نكح في الغرائب، وتزوج إلى غير أقاربه والاغتراب والافتعال من الغربة: الغامض من الكلام"[1].

أما في القاموس المحيط، فقد وردت هذه اللفظة من مفرداتها حيث يقال: "الغرب المغرب، والذهاب والتنحي، وأول الشيء وحده، والتمادي، والروي ... والنوى والبعد، كالغربة وقد تغرب بالضمة والترويح عن الوطن والغربة والاغتراب"[2] وعليه فإن مفهوم الغربة والاغتراب من خلال هذه المعاجم لا يكاد يخرج من عن الدلالة المكانية، فكل هذه المفردات متعلقة بالابتعاد والتغرب، خاصة عن الوطن، وهكذا:

* الغربة تكون غربة الذات والحنين إلى الماضي (غربة معنوية).

---

[1]ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر بيروت، ط6، 1417هـ، 1997، مج1، ص639.

[2]القاموس المحيط مجدي محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الحديث، القاهرة، (د، ط)، 1429هـ، 2008م، مج1، ص 1178.

* الغربة تكون من خلال البعد عن الأهل والوطن والنفي عن البلد (غربة مادية).

أما بالنسبة لأهم المعاني التي تم استخدامها في العديد من اللغات للدلالة على المصطلح "إن المقابل للفظ اغتراب أو غربه في اللغة العربية هو اللفظ Aliénation في اللغة الإنجليزية واللفظ Aliéntion في اللغة الفرنسية واللفظ المرسوم هكذا Enfrending في اللغة الألمانية، وقد اشتق كل من اللفظين الفرنسي والإنجليزي من أصل لاتيني Alienare والذي يعني نقل الملكية الشيء إلى آخر أو انتزاع أو إزالة، وهذا اللفظ مستمد بصورة من لفظ آخر أي الانتماء إلى شخص آخر"[1].

"لا يميز علماء اللغة بين مفردات الغربة والاغتراب والتغرب بل هي عندهم بمعنى واحد، وهو النزوح عن الوطن، ولكننا نلاحظ أن بعض الباحثين يضعون التفرقة بين الغربة والاغتراب وبين الغريب والمغترب"[2]. لكن هذان المصطلحين المترادفين تقريبا ولهما المعنى اللغوي نفسه على أكبر تقدير.

اصطلاحا:

يمكن القول بأن ظاهرة الاغتراب ومفهومه متعددة في منظور الأدباء والشعراء بدلالات متنوعة ومعالم متباينة، "فهو قد يعني الانفصال عن الذات أو التذمر أو الاستياء

[1]الأستاذ لزهر، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية، الجزائر، 1434 هـ، 2013 م، ص 11-12.

[2]فريد أمغخشوا، الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، ط2، 1436 هـ، 2015 م، ص 06.

أو الانزعاج أو الإحباط"[1]، فكل الكتابات في هذا الموضوع على الرغم من كثرتها أو التنوع استعمالها لهذا المصطلح تشير إلى أمور معينة فيه، مثل "إن سلاح المجتمع والعزلة أو الانعزال والعجز في التلاؤم، والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع، ولامبالاة وعدم الشعور بالانتماء بل انعدام الشعور بمغزى الحياة"[2].

وهذا المصطلح أغلب معانيه تشير إلى الابتعاد عن الوطن والتغرب عنه، أو الانفصال الروحي عن مكانه، "وبما أن دلالة الغربة تعني النزوح، فالاغتراب تروح كذلك، لكنه نزوح نفسي داخل مواطن نفس الفرد، كونه الرفض والتمرد، وربما العجز لكنه نزوح لا يتحدث بوقت أو مكان مستلهما قواه من القول التوحيدي (أغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه)، سيكون بذلك غربة ذاتيا تدعو الانفصال عن المجتمع والعيش في غربة روحية غارقة في عمق ذات الإنسانية يعيشها لشعوره بالانفصال ربما حتى عن ذاته"[3]. إذا فالغربة أو اغتراب عبارة عن انعزال روحي أو ذاتي للإنسان المتغرب عن وطنه.

والغربة هي عدم التأقلم النفس البشرية مع البيئة التي يعيش فيها، أو مكان الذي يسكن فيه، سيصبح الإنسان قلقا منفصلا عن ذاته "أما في الاصطلاح فقد عد أغلب الباحثين ظاهرة الاغتراب ظاهرة إنسانية وجدت في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية، وفي كل الثقافات لكن بدرجات متفاوتة، ذلك أن الاغتراب قد يعني الانفصال وعدم الانتماء،

---

[1]مها روني، إبراهيم الخليلي، الحنين والغربة إلى الشعر الأندلسي عصر غرناطة، 635، 637، رسالة الماجستير بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2007م، ص 24.

[2]عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر، 2003، ص 21.

[3]أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، ص 15.

ويعرف أيضا بأنه وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به، وبصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق"[1]. مما يمنحه الشعوربالاغتراب النفسي .

ثم مفهوم الغربة والاغتراب تعدد عند المفكرين "ويضيف ابن القيم (751ه) ثلاثة أضاف من الغربة وهي غربة أهل الله وأهل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين هذا الخلق، وهي غربة مدحها الحديث الشريف، ثم غربة مذمومة وهي غربة أهل الباطل، وأخيرا غربة مشتركة لا تحمد ولا تذم هي الغربة عن الوطن"[2]، إذا بصفة عامة مصطلح الغربة له عدة تعريفات وأنواع، لكن أغلبها تشير إلى الغربة الوطنية.

والغربة أو الاغتراب من أهم المصطلحات المتداولة بكثرة في المجتمع العربي الحديث فأصبح كالداء الذي يصعب محاربتها، "حيث اقترن المصطلح في أغلب الأحوال بكل ما يهدد وجود الإنسان وحريته، وأصبح الاغتراب وكأنه مرض أصيب به الإنسان الحديث"[3].

"وفي محاولة استقراء البنى السطحية أو العميقة لتلك المعاني نجد أنها تدل على جوانب مادية محسوسة تتمثل في البعد الحقيقي عن الأهل والوطن بمحض الإرادة، أو بعدها من خلال النفي والتغريب وجوانب معنوية تتعلق بأثر النفسي والروح المتمثلة بعدم الانسجام والتلائم مع الوسط أو المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان"[4] أي أن الغربة في

---

[1]المرجع نفسه، ص 13.

[2]أحمد علي فلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، ص 20.

[3]عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 22.

[4]أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري، ص 14.

محتواها العميق فهي تدل على مفارقة الوطن الحبيب وهذا سبب عوامل عدة أثرت في الإنسان المغترب وجعلته يحن إلى مكانه وأهله، وعدم شعوره بمغزى الحياة وقيمته، غير أنها قد تتعلق بشخص في وطنه، فيتماسكه القلق والتمرد.

"فالاغتراب إذن حالة نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد فتجعله غريبا وبعيدا عن الواقع الاجتماعي، وهو في نفس الوقت نفسه تعبير عن توتر نفسي نتيجة شعور المرء بالعزلة أو العجز، وهو الإحساس الفردي بالافتراق في الفكر والوجدان، والتركيبة الذاتية عن المحيط فيصير الفرد غريبا عن وسطه، وربما غريبا حتى عن ذاته، الشعور بأن أفكاره صارت فروض غريبة، وأنه مقيد بمشيئة عالم غريب عنه"[1]، فهو بالمختصر المفيد عبارة عن اضطراب نفسي يمنعه من الراحة والحرية الكاملة في بيئته.

هكذا فلمعنى اللغوي والاصطلاحي للغربة والاغتراب كلهم معنى واحد، وهو الذهاب والانعزال عن الناس والأماكن "أي أننا نستطيع أن نحل مصطلح "الاغتراب المكاني" بدل مصطلح الغربة المكانية، "والاغتراب الروحي" محل الغربة الروحية وهكذا"[2]، حيث "يرى الدكتور علي وطفة بأن مفهوم الاغتراب يشير إلى النمو المشوه الشخصية الإنسانية حيث تفقد فيه الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة، وهو الحالة التي يتعرض فيها جوهر الشخصية للقسر والإكراه، فعندما تتعرض الشخصية الإنسانية في جوهرها العقل

[1]أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري ، ص 24.

[2]صلاح الدين أحمد الجماعي الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسيةوالاجتماعية دار زهران عمان، ط1، 1431ه، 2010م، ص 42.

أو الثقافي أو الاجتماعي لنوع من التشويه والاغتصاب تحدث عملية اغتراب وتشويه"[1]، فهنا يعني الاغتراب تعرض الإنسان لتشوه الشخصية واضطرابات في التقبل والشعور.

"وقد حاول الدكتور عبد الإله صائغ جمع دلالات الاغتراب في هذا الحقل: الاغتراب هو عشق التجديد، تغريب المتلقي وإبقائه منفصلا حيث لا يحدث الاندماج والانفعال بالنص ... موت العبر وانبعاث الحلم المستحيل، الحنين إلى الماضي، الاغتراب كامل في كل الأزمنة والأمكنة والحضارات ولكن تغيراته مختلفة"[2]، إذا فعبد الله قد لما معظم المعاني المتعلقة بمصطلح الغربة والاغتراب وكل هذه الدلالات كأنها مرتبطة بالحالة النفسية نتيجة الانفصال عن الذات.

وبعد تقديمنا لمعظم التعريفات لمصطلح الغربة نرى بانها قد تفرعت إلى أنواع مختلفة من أهمها (الغربة النفسية والاجتماعية، والدينية، المكانية وغيرهم).

مظاهر الغربة وأسبابها :

مظاهر الغربة:

إن لكل شخصية تحس بالاغتراب بعض السمات حتى تتحقق صفة الاغتراب بصفة عامة، وأن ذلك الفرد المغترب يحس بالغربة، فهذه الصفات التي تظهر على الإنسان تحمل طابعا سيكولوجيا، ولقد حاولنا استقصائها من خلال المظاهر الآتية:

---

[1] الأزهر مساعدية، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 62.

1 لزهر مساعدية ،نظرية الاغتراب من المنشور العربي و الغربي، ص 62

بالنسبة للمظهر الأول للغربة هو العجز، فأي إنسان في الحياة اليومية يتعرض للعديد من الظروف في مجتمعه، فتصبح حالته النفسية تميل إلى المشاعر السلبية، ويصبح غير قادر على الوقوف ومواجهتها، وهذا ما يسمى بالعجز "وهو شعور الفرد بأن لا حول ولا قوة، ولا يستطيع أن يقرر مصيره، ومن ثم يعجز عن تحقيق ذاته، أو يشعر بحالة من الاستسلام والخنوع،والعجز وفقدان القدرة هو توقع الفرد بأنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسة الضبط لأن الأشياء حوله تسيطر عليها ظروف خارجية أقوى منه، ويتولد لديه الشعور بالعجز والإحباط وخيبة الأمل في إمكانية التغيير"[1] فهذا المظهر يدل على فشل الإنسان في تبيان مصيره، مما يؤدي به إلى الضياع.

أما المظهر الثاني وهو انعدام المغزى أو اللامعنى، وهو شعور المرء بأنه يتوقع نتائج جيدة في المستقبل، لكن لما ينظر ذلك الإنسان إلى الواقع يراه يخلو من أي هدف أو معنى في الحياة، "ويقصد به إدراك الفرد وفهمه واستيعابه لما يدور حوله من أحداث وأمور عامة أو خاصة.

ويعرفه 'سليمان' لأنه يعني توقع الفرد أنه لن يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك، فالفرد يغترب عندما لا يكون واضح لديه ما يجب عليه أن يؤمن به أو يثق فيه وكذلك عندما لا يستطيع تحديد معنى لما يقوم به وما يتخذ من قرارات"[2]، وفي الاخير يصبح في متاهة، ويمارس سلوكيات عبثية لا مغزى لها.

---

[1]يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، دار مجدلاوي عمان، ط1، 1428 ه، 2008 م، ص 18.

[2]عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 37.

إذن الشعور بلا معنى يتضمن "عدم الفهم الكامل، او عدم وجود معنى الذات في أي مجال من مجالات العمل، وإن الحياة ليس لها معنى أو هدف"[1]، فقدان المغزى يعني توقع الفرد أنه لا يستطيع التنبؤ بالنتيجة المستقبلية، فيعيش حياة اللامبالاة.

كذلك هناك مظهر يسمى اللامعيارية، حيث يشير هذا الأخير إلى تشتت المعايير، أو ربما انعدامها، حيث يشعر الأفراد تفتقر إلى المعايير الاجتماعية التي تربط سلوكهم، فلا يندمجون مع تلك القيم الحديثة "إذ أن دور كايم أوضح في دراسة للأنيميا أو اللامعياريةNormlessness أن المجتمع الذي وصل إلى تلك المرحلة يصبح مفتقرا إلى المعايير المطلوبة لطرد سلوك الأفراد، أو أن معاييره التي كانت تتمتع بإعفاء لم تعد تتأثر لذلك الاحترام، الأمر الذي يفقدها سيطرتها على السلوك"[2]، وهذا يعني أن الفرد قد شعر بانعدام التأقلم والتماشي مع المستجدّ.

وهناك مظهر يسمى اللاهدف حيث يرتبط "ارتباطا وثيقا باللامعنى، ويقصد به شعور المرء بأن حياته تمضي دون وجود هدف أو غاية واضحة، ومن ثم يفقد الهدف من وجوده ومن عمله ونشاطه وفق معنى الاستمرار في الحياة"[3] في الفرد بالنسبة للمجتمع يشكل شخصية أو ذات فعالة فيكون لذلك الشخص طموحات وأهداف، ويحاول السعي لمحاولة تحقيقها، لكنه فجأة يقابل الواقع المؤلم، فتتحطم غاياته التي رسمها "حيث تسير حياة الفرد بلا هدف، ويشعر بالاغتراب عندما لا يستطيع التحكم بأفعاله، ويكون سلبيا عندما يستسلم

[1]صلاح الدين الجماعي، الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، ص 54.

[2] صلاح الدين الجماعي ،الاغتراب النفسي و الاجتماعي و علاقته بالتوافق النفسي و الاجتماعي ،ص54.

[3]عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 42.

أفعاله ونتائجها ويشعر أن لا معنى لحياته"[1] فتتخلى الذات عن أهدافها، بسبب الضغوطات المتراكمة عليها فت صبح حياتها دون غاية ومنفعة.

أما آخر مظهر من مظاهر الغربة وهو التمرد، وهذا ناتج بسبب القوانين الصارمة التي فرضها المجتمع على الفرد، فيحاول أن يخرج عن هذه القيود، مدافع عن حقوقه الضائعة، أي أن "شعور الفرد بالبعد عن الواقع، ومحاولته الخروج عن المألوف والشائع وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة، والرفض والكراهية والعداء لكل ما يحيط بالفرد من قيم ومعايير قد يكون التمرد على النفس أو على المجتمع بما يحتويه من أنظمة ومؤسسات أو على موضوعات وقضايا أخرى"[2].

أسباب الغربة:

وبعد تحدثنا عن أهم مظاهر الغربة، سوف نتحدث الآن عن أهم الأسباب التي أدت إلى الاغتراب ومظاهره، حيث تعددت أسباب الغربة وتنوعت واختلفت قوة تأثيرها من شخص إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر، وبما أن الفرد قد أحس بالغربة "فثمت دوافع تساعد على ظهور الاغتراب في المجتمع وفي الفرد ذاته، فالاغتراب مرض تتصل أبعاده بتمزق (الذات) وانفصالها عن الجماعة وابتعادها عن البشر لعدم التوائم معه، أو انشطارها إلى ذاتين داخلية

[1] يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص 19.

[2] عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 42.

وخارجية، لفقد التوازن مع النفس والاختلاف بين الذات والجماعة قديم"[1]. ومن جهة تكون الغربة الروحية خارج وطنه وهذا بعد مغادرته لحضارته.

فمن أهم الأسباب التي دفعت إلى الاغتراب نذكر الدافع الاجتماعي والاقتصادي سواء داخل الوطن أو خارجه، حيث "كان سببا فيما عانى العديد من الشعراء والأدباء من الغربة وهم في أوطانهم وأخرى خارج أوطانهم فالترحل من أجل لقمة العيش وما صاحبها من مشقة وعناء والبقاء في الأوطان وما رافقه من فقر وإذلال"[2]، فالإنسان كائن اجتماعي يتأثر بالعوامل البيئية المحيطة به التي تجبره أحيانا على مغادرة الوطن الأصل، أو ملازمته كرها والعيش في جو مكهرب مؤرق.

فبسبب الظروف الاجتماعية المادية قد يشعر الإنسان بالغربة حتى وهو في وسط أفراد مجتمعه، "بل ويحس بها في داخله أحيانا، وتلك بعض من الأزمات الإنسان ومن أمراضه وهو منشغل بشتى الأعباء المادية، ومثقل بالصدمات النفسية، وما ينشا عنها من إحباط وقصور يعوق حركته في محاولاته اللحاق بإيقاع الحياة السريع والمتتابع في كل اتجاه"[3] فالإنسان لما يكون ضعيفا ماديا وغير قادر على تلبية حاجياته ورغباته يجعله يحس بالغربة النفسية الحادة.

---

[1]علي عبد الخالق، ظاهرة الاغتراب وحداها في الشعر المعاصر، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بمنطقة الخليج 1416 هـ، 1995 م، ص 102.

[2]محمد راضي جعفر الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 23.

[3]علي عبد الخالق علي، ظاهرة الاغتراب وصداها في الشعر المعاصر، ص 97.

فالاغتراب "أيضا تعبير عن الحرمان والضياع، خصوصا حين يجيء المستعمر فيسرق من الجماعة التي يستعمرها أرضها وحضارتها ولغتها وشخصيتها ... ومن هنا فإن الإنسان العربي الذي ذاق مرارة الاستعمار، لم يلبث أن وجد نفسه غائبا عن أرضه وعمله، غريبا في صميم وطنه وفوق تربة أجداده! وهكذا كان الشعور بالاغتراب لدى الإنسان العربي المعاصر بمثابة إحساس أليم بالحرمان المادي والضياع الروحي، وكان المستعمر قد سلبه شخصيته وثقافته، قبل أن يسلبه أرضه وخيرات بلاده"[1] إذا فأهم عامل جعل الإنسان يحس بالغربة الروحية هي الظروف السياسية المتعلقة بالاستعمار وسلطته على الفرد في المجتمع العربي، مما قد سلب منه كل ما لديه من حقوق وأملاك حتى أنه حرمها من ثقافته وقيمته الإنسانية، فالاغتراب حقيقة عاشها العرب حتى وهو في وطنه الأحق به، دون أن نذكر وجوده في وطن آخر.

فالإنسان قد عرف الغربة منذ القدم، لكن لابد لنا أن نكون بعلم لأهم الدوافع الرئيسية التي دفعت به إلى الاغتراب النفسي "إذ ينشأ هذا الشعور نتيجة لظروف الحياة ومشكلاتها، وأزمات العصر، فضلا عن الدوافع الأخرى المتمثلة في النزاعات والصراعات السياسية والاجتماعية، وما ينجم عنها من قهر وتعسف"[2]، إذا اعتبار الغربة من اهم المميزات في العصر الحديث حكم لا نقاش فيه.

فمن أهم أسباب اغتراب الإنسان هو انحصار الإنسان في عائلة صارمة ومجتمع تقليدي يمنعه من الاستقلال والحرية، يخضع لعوامل تتحكم فيه، وكأنهم في عالم متقدم

[1] فريد أمعضشو، الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، ص 22.

[2] أحمد علي فلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري، ص 16.

ومتحرك لكن دون التحرك، والتحكم في شخصيتهم ووضع خيار لمستقبلهم، "هكذا أصبح المجتمع نفسه عاجزا إذ فقد الكثير من سيطرته ووضاء على وظائف الحيوية وموارده المادية والروحية في علاقته بالدولة المهددة بالخضوع لإرادة القوى الخارجية، ومن هنا فإن المجتمع يعجز عن تجاوز أوضاعه وإعادة بناء نفسه من جديد، فتتسع الفجوة وتتعمق بين واقعه الهزيل وأحلامه الضائعة، بل من هنا أيضا أن الإنسان في هذا المجتمع لا يمكن أن يتقبل وضعه، كما لا يجرؤ على أن تكون له أحلام"[1] إذن فتغرب الإنسان كان نتيجة المشكلات الاجتماعية التي جعلته مقيدا دون حلم أو مستقبل وكأنه يحاول النهوض ثم يسقط من جديد.

"وليس غريبا أن يشعر المرء والحال كذا بالضياع، وقسمة الوحدة النفسية والإحساس بالعجز والحيرة، فيتكافئ على الذات ويتخذها محورا لحياتها كلها، وذلك لما انتابه من تمزق داخلي، وألم نفسي، ومن ثم تتسرب بواعث الغربة إلى روحه، وتسري في كيانه حتى لا يكاد المرء أن يصير غريبا عن كل ما يحيط به، إما لعدم استطاعته تحقيق طموحات الذات المتسترة، أو لضعف القدرة على مواجهة الضغوط الخارجية"[2]، في العوامل الداخلية في المجتمع وخارجه تجعل الإنسان عاجزا غير قادر على التحرك وبناء نفسه وذاته نحو الأفضل، فالغربة تشمل القسوة على النفس البشرية.

وفي بعض الأحيان عدم تقدير المجتمع لمهارة الإنسان وقدرته خاصة الفرد الطموح، لذلك يلجأ إلى بلاد أخرى تقيم كفاءتهم فيهجروا بعيدا عن وطنه، إذا فكل هذه العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية تجعل الإنسان يحس بالغربة النفسية الحادة، مما يؤدي

---

[1] حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، سبتمبر 2006، ص 71.

[2] علي عبد الخالق، ظاهرة الاغتراب وصداها في الشعر المعاصر، ص 97.

به إلى هجرة الأوطان بسبب إحساسه بأن حياته أصبحت جحيما لا يطاق، وأن الهجرة عن وطنهم تخلصهم من معاناتهم، فالتغرب عن الوطن يكون إما عن إرادة طلبا للعلم والرزق، أو بسبب النفي الإجباري من طرف المستعمر خاصة في العصر الحديث حيث تم تشرين الكثير عن أهاليهم، فهنا يشعر الفرد بالاسى والرفض. "وقد يغترب الإنسان بمحض إرادته، ويقصد إلى ذلك قصدا وقد يؤدي مجموعة من العوامل إلى إيجاد هذه الغربة، دون أن يكون للإنسان أي سلطة في دفعها، وقد سمي عبد الرزاق الخشروم الغربة الأولى "بغربة الذات" على حين سمى الثانية "بغربة القهر" ويقول الرجل نفسه: ولهذا نسمي كل غربة حصلت قهرا غربة، وكل غربة حصلت طوعا اغترابا"[1] إذا فالغربة قد تكون اختيارية كهجرة الناس والأدمغة العربية إلى الدول الغربية، أو تكون إجبارية بسبب الظروف الأليمة التي دفعت بهم إلى التغرب نحو العالم الجديد نيلا للحرية وفرارا من الظلم.

فبعد ذكرنا لأهم المثيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية داخل الوطن، التي دفعت بهم إلى الإحساس بالغربة حتى وهم في وسط مجتمعهم، فكان لابد لهم من مواجهتهم تلك الصعاب "ومواجهة الصعاب عند شعراء الاغتراب أمر قدري، وحالة مفروضة لمواجهة المشاق ومحاولة إزاحتها، وإن دوافع الاغتراب النفسي، والإحساس بالفقد والضياع لإنسان ما وسط أهله، يؤكد الرفض لأشكال الحياة الجديدة مهما بدت مغرياتها"[2] هذا ما دفع شعراء الغربة إلى الطغيان ونبذه تلك التقاليد "فمنذ أن تكونت المجتمعات الأولى نشأت معها وفي ظل سنتها وتقاليدها المشاكل والأزمات التي كانت تتمخض بشكل أو بآخر عن أنواع من

[1] فريد أمعضشو، الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، ص 08.

[2] علي عبد الخالق علي، ظاهرة الاغتراب وصداها في الشعر المعاصر، ص 102.

الإغتراب عانى منها الفرد، وكانت تقوده حينا إلى التمرد والعصيان ومواجهة المجتمع، وحين إلى الاستسلام والانعزال والانكفاء على الذات"[1].

وعدم رضا الإنسان تقاليد مجتمعه وقيمه وصراعه بين القيم الإنسانية والتقاليد جعلته يشعر بالغربة، خاصة لما عرفه المجتمع "من تطور اقتصادي هائل وتغير الاجتماعي صارخ قاده إلى التحكم الآلة والمادة في الإنسان الذي أمسى ذا بعد أحادي"[2] ... مما أدى إلى انعدام المبادئ، فتدهورت حياة الإنسان وأصبحت تحت سيطرة المادة.

وهكذا أصبح الإنسان مغتربا منفعلا على محيطه، فهو يعيش في مجتمعه وبين أهله في دائرة الغربة، يعيش في عالم مجرد من القيم يسوده جو كرية لدرجة أنه لا يرفض الحياة فقط بل يعاديها أيضا"[3] فأصبحت علاقته بينه وبين مجتمعه ضعيفة.

أما بالنسبة للأسباب الخارجية التي دفعت للإنسان إلى الشعور بالغربة النفسية والاجتماعية وغيرها فهي عوامل أحاطت به في الوطن الذي هاجر إليه وسكن فيه، "فالعجز لا يأتي دائما عن قهر وغلبة، في الحرية المطلقة والانفلات من كل قيد ويسرى الحياة ورفاهيتها قد تؤدي لنوع من الإحساس بالعجز، فيكون هذا العجز مدعاة للفشل، سيحاول المرأة الخروج مما احتواه على نحو ما"[4]. ويصبح الفرد يتمنى العودة إلى حياته القديمة

[1]محمد رافي جعفر، الإغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 15.

[2]فريد أمعضشو، الإغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، ص 22.

[3]لزهر مساعدية، نظرية الاغتراب من المنظور العربي والغربي، ص 62.

[4]علي عبد الخالق علي، ظاهرة الاغتراب وصداها في الشعر المعاصر، ص 109.

مقارنة بالعصر المتقدم الذي عاش فيه، فالحياة الجديدة لا يمكن التأقلم معها لما فيها من غربه وضياع.

"إن بواعث الاهتمام بقضية الاغتراب تتجلى في الشعر الذي يبرز نماذج تدل على الهجرة الداخلية حلما بالخلاص وهروبا من العجز من محاولة تغيير الواقع"[1] فالمغترب عندما هاجر إلى غير بلاده، رأى بأنه غريب في وسط ذلك المجتمع، ولم يستطيع التكيف مع أسلوب عيشهم وعجزه عن إحداث تغيير في تقاليدهم، فشعر بالغربة النفسية إذ أن "الإغتراب هو حالة نفسية تلازم الإنسان وتشعره بالألم والحزن سواء كان هذا الإنسان في وطنه وبين أهله أم كان بعيدا عنه"[2].

فالإنسان عندما يغترب لابد له من دوافع هامة أدت به إلى تلك الحالة التي أحسته بعدم القبول لذلك المجتمع "وبناء على ما نستطيع القول أن مصطلح الاقتراب يشير إلى عدد من المظاهر والمشاعر والصفات لها أسباب ومظاهر ونتائج، ترتبط بعلاقة الفرد مع ذاته ومع المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، فإذا كانت أسباب الاغتراب تظهر على الشعور بعدم الرضا عن الذات والمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، وكذلك بعدم الشعور بالرضا وعدم التكيف على هذا المحيط مما يؤدي به إلى سلوكات ومواقف اجتماعية متميزة وغير مرغوبة أحيانا، فالعزلة والرغبة في التمرد والتغيير"[3]، إذا لا غربة بدون دوافع وعوامل رئيسية أدت إليها.

---

[1] المرجع نفسه، ص 101.

[2] لزهر مساعدية، نظرية الاغتراب من المنظور العربي والغربي، ص 63.

[3] قبلان المحالي، العلاقة بين الاختصاص الأكاديمي وبعض جوانب الاغتراب وفقا لمقياس دواوين دين، دراسة ميدانية مجلة أبحاث البرموان وسلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مؤتة، المجلد 4، 1993 م، ص 352.

3-تطور الغربة في التاريخ العربي وأثرها على الشعراء:

أ- تطور الغربة في التاريخ العربي:

"ظاهرة الغربة والاغتراب من الظواهر القديمة قدم الحياة الإنسانية، فقد ظهرت منذ القدم في المجتمعات الأولى بسبب تلك الأزمات التي واجهت المجتمعات، وهي ظاهرة غريبة تتكون وتتشكل من إنسان إلى آخر بأشكال"[1] في الحديث عن جذور الاغتراب في الشعر العربي، يبين أنها ظاهرة أحس بها الشاعر على مر العصور وعبر عنها بأصدق المعاني.

ففي العصر الأموي كانت الغربة منتشرة آنذاك وهذا بسبب أن القبائل "حين يمتنع الغيث ويقل الرزق ترحل إلى أماكن الخصب،فيقصد شعراؤها السلاطين وأهل الغنى يمدحونهم أملا في العطايا والهبات، وتتمزق القبيلة ويزداد الشوق والحنين إلى الأهل والأحباب وتلدغهم آلام البعد والاغتراب، وكثيرا ما يصعب على القبيلة النازحة التلاؤم والانسجام مع البيئة الحضارية التي انتقلوا إليها، فيتألمون ويحنون إلى بيئاتهم التي ألفوها ... وكان من أسباب الغربة أيضا الزواج في غير القبيلة والبعد عن الأهل والديار وكان الحروب والفتن الداخلية وما نتج عنها من تشتت وقسوة وبطش أثر في شعور الفرد بأنه غريب مطارد ومنبوذ"[2] فكل هذه الأسباب دفعت بالشعراء إلى الشعور بالغربة والاغتراب، مما دفعت بهم إلى الرحيل بعيدا، فظلم السلاطين والولاة جعل الأموي يتغرب عن وطنه،

[1] زينب عباس عبد الله، الغربة في شعر جبران خليل جبران، مجلة الجامعة العراقية، كلية دجلة الجامعة الأهلية، مج 2، ع 58، ص 290.

[2] يحيى جبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص 53.

كذلك من الأسباب التغرب عندهم ذهاب الرجل ليصبح جندي فيتغرب عن امرأته وأهله بسبب الفراق.

أما في العصر العباسي فقد تميز باضطرابات في الحياة اليومية المبعثرة التي عاشها الناس، فجسدوا تلك الغربة في شعرهم حيث عرفوا نوعا من الحنين إلى الأوطان بعد مغادرتهم البداوة وبعدهم طلبا للرزق وهروبا من قهر السلاطين، فأبو الفرج الأصفهاني نظر إلى المغتربين وحالتهم الشعورية، وكيف عبروا عن غربتهم من خلال الكتابة على الجدران والأبنية، حيث قال: "وقد جمعت في هذا الكتاب وما وقع إلي وعرفته، وسمعت به وشاهدته، من أخبار من قال الشعراء في غربة، ونطق عما به من كربةوأعلن الشكوى بوجده إلى كل مشرد عن أوطانه، ونازح الدار عن إخوانه فكتب بما لقي على الجدران، وباح بسره في كل حانة وبستان، إذا كان ذلك قد صار عادة الغرباء في كل بلد ومقصد"[1] فألف تلك المآسي في كتاب "أدب الغرباء"، ومن الذين كتبوا على الأبنية (محمد بن عبد الصمد وأبو جعفر ...)، أما من شعراء الحنين إلى الوطن في هذا العصر (أبو حية النميري، بن إسحاق الموصلي، المازني النحوي، أبو النواس، أبو العلاء المعري ...).

ومن قبل ذلك العصر الجاهلي الذي احس الشعراء فيه بالتغرب، "لقد عرف الجاهلي ضروبا من الغربة، عبر عنها الشعر، وقد أسهمت الطبيعة الصحراوية ، وأسلوب الحياة الرعوي، والنظام القبلي القائم على الاحترام العصبية، صوت للمجتمع وحفاظا على تماسكه، والتنقل الدائم في تحديث غربة الإنسان الجاهلي، فقد تترك القبيلة موطنها بحثا عن موطن صغير تتوافر فيه أسباب حياتها، وتخلف ورائها أرضا وأناسا وذكريات، أو يذهب الشاعر

[1] يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص 127.

بعيد عن قومه وموطنه فيذكر الوطن وساكنين في غربته أو موطنه الجديد"[1]، فغربتهملم تكن إرادية بل بسبب القبيلة التي فرضت تقاليد تمحو الذات، مما دفع الشعراء إلى التمرد على أعرافها لتحقيق ذاتهم، حيث كان الشاعر الجاهلي يعتمد على الأطلال ليحكي حالته، فيتذكر وطنه ذكرياته وهكذا "يقف الشاعر الجاهلي بالطلال ويصف حالته الراهنة والتغير الذي حل به، وغايته من هذا تذكر الماضي، ومقارنته بالحاضر، ويبدو الماضي اغنى أو هكذا يتخيل المرء، فالاطلال توقظ في الشاعر ذكريات ماضية تحتوي على السعادة"[2] لهذا لجأ الجاهلي إلى الأطلال كوسيلة ليتداوى من حزنه الشديد، مبرزا ذلك في مطلع قصائده فحن إلى الديار وأحس بالوحشة، متحدثا عن الماضي المندثر.

دون أن ننسى العصر الحديث والمعاصر الذي كانت فيه الغربة حاضرة بقوة، فهو كغيره من العصور لم يسلم من هذه الظاهرة التي تجلت في شعرهم كثيرا، "فالأدب في مثل هذه الظروف ينعدم فيه الاستقرار والهدوء، فمن هنا غلبت فكرة الاغتراب في الوقت الحاضر على تجربة الشعراء"[3].

فعند الرومانسيين قد ظهرت بسبب رغبتها في الاطلاع على الغرب وثقافتهم، "والاحتكاك بها ومعرفة كنوزهم الأدبية، وتم ذلك من خلال البعثات العلمية والصحافة والترجمة، ونضيف إلى ذلك الوضع العربي في تلك الحقبة السوداء التي مر بها وطننا

---

[1] عبد الرزاق الخثروم، الغربة في الشعر الجاهلي منشورات الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 1985، ص 15.

[2] المرجع نفسه، ص 243.

[3] ميلود فضة، الاغتراب في شعر يحيى بختي، مجلة اشكالات في اللغة وأدب، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، المجلد 1، 2005، سنة 2012، ص 664.

العربي ليجد الشاعر العربي نفسه غريبا وحيدا في مواجهة التخلف والحرمان"[1] فعدم انسجام الشعر الرومانسي مع واقعه حطم نفسيته، جعل الحزن طابع الرومانسيين ،فالرومانسية كانت تسعى إلى نيل الحرية، هكذا أصبح الإنسان محاطا بقوة تفوق طاقته توقعه في العجز والإحساس بالضياع، فهي مملوءة بالحس الاغترابي المزعل الذي أحس الفرد بالإحباط وخيبة الأمل، وكثر القلق فيه والخوف من المستقبل "هذا ما نجده جليا في عناوين دواوين بعض الشعراء، إذا ما أطلعنا عليها سنجد الكم الهائل للاغتراب في قصائد شعراء هذه الفترة نذكر منهم طه الملاح الطائر، ولحسن كمال الألحان الضائعة، ولأحمد زكي أبي شادي فوق الصباب، ولمحمد أبو قاسم الخمار، ربيعي الجريح ..."[2] فكل هذه الدواوين نتيجة عواطفهم النفسية الرافضة لبعض الأسس والعادات ففي مطلع هذا القرن، تأثرت طليعة الشعراء العرب بالنزعة الرومانسية ظهرت في الغرب فعاشوا أشكال من الغربة الذي يعد رائدها (جبران خليل جبران).

أما في الشعر المهجري فقد برزت الغربة في شعرهم، حيث انقسم إلى مدرسة المهجر ومدرسة المهجر الشرقي ومدرسة المهجر الغربي، فبالنسبة للمدرسة الشرقية "فهي المدرسة التي قامت على أيدي العرب الذين هاجروا من الجزيرة العربية إلى أندونيسيا، وبلاد جنوب شرق آسيا، وكونوا فيها جمعيات وروابط أدبية، واخرجوا صحفا ومجلات أدبية أشهرها النهضة الحضرمية والكويت والعراق"[3] فعندما وصل هؤلاء إلى البلاد الشرقية شعر بنوع من

---

[1]زينب عباس عبد الله، الغربة في شعر جبران خليل جبران، ص 291.

[2]المرجع نفسه، ص 291.

[3]حسين علي محمد، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية، ط1، 2000، ص109.

الغربة النفسية، حيث أيقظت فيهم الحنين إلى حضارتهم العربية، ومن بين شعراء المشرق (ابن شهاب العلوي، صلاح بن علي الحامد العلوي، محمود شرقي الأيوبي، البارودي، محمود الزبيري).

أما بالنسبة لمدرسة المهجر الغربي "فقامت على أيدي الأدباء العرب الذين هاجروا من بلاد الشام إلى أمريكا الشمالية والجنوبية، وكونوا فيها جمعيات وروابط أدبية، أخرجوا صحفا ومجلات أدبية"[1]، فكون هؤلاء المهاجرون رابطتين جمعيتين:

الرابطة الإقليمية التي "أنشئت في نيويورك في 30 من نيسان عام 1920، وكان الذي حمل أعباء الدعوة إلى تأسيسها هو الأديب المهجري عبد المسيح حداد ... كانت من أبرز أنصارها والداعمين إليها جبران خليل جبران، عميد أدباء المهجر، وكان هناك أيضا العديد من المثقفين الذين يرمون بتأسيس هذه الرابطة القلمية، من أعلامها من الشعراء جبران وميخائيل نعيمة، نسيب أبو عريضة، ونعيمة الحاج، أسعد رستم، إيليا أبو ماضي"[2]، حيث أن هجرة هؤلاء الشعراء العرب إلى أمريكا كان سبب عاملين "الأول: الفرار من سلطة ظالمة طبقت على الإنسان العربي أقصى أنواع القهر والعسف والاضطهاد، وحرمت للإنسان في هذه المنطقة المشرقية من حريته وإحساسه بإنسانيته، والعامل الثاني هو البحث عن مصادر العيش في بلاد الإغتراب أكثر يسرا، من أجل إعالة النفس وذوي القربى في الوطن"[3]. إذا فهذا السببان دفعا الشعراء إلى البعد عن الوطن بحثا عن الحرية والراحة النفسية.

---

[1] حسين علي محمد، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، ص 147.

[2] زينب عباس عبد الله، الغربة في شعر جبران خليل جبران، ص 295.

[3] واصف أبو شباب، القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، دار النهضة الأدبية، بيروت، (د، ط)، 1408هـ، 1988م، ص 157.

دون أن ننسى الرابطة الأندلسية التي 'نشأت هذه الجماعة الأدبيبة في المهجر الجنوبي، أي أمريكا الجنوبية في البرازيل مدينة "سان باولو" وكان المؤسس لها هو الشاعر المهجري ميشال معلوف، وتولى رئاستها ثم خلفها القروي"[1] فأسباب هجرة هؤلاء إلى أمريكا نفسها الأسباب التي ذكرناها من قبل المتمثلة في الحرمان الذي عاشوا في مجتمعهم مما دفعهم إلى التغرب بحثا عن الرزق.

فهؤلاء الشعراء أحسوا بالإغتراب والبعد عن الديار والأحباب أي "البعد عن الوطن مسقط الرأس و ملعب الصبا والشباب إلى جانب الشقاء والعنت والحرمان الذي صادفه هؤلاء الشباب في هجرتهم، أثار في نفوسهم شعور الغربة عن الوطن وألم البعد والفراق عن الأهل والأحبة"إذن فالغربة كانت منتشرة بكثرة في الشعر العربي الحديث والمعاصر، خاصة مع ازدياد أسباب التغرب التي جعلتهم يهجرون البلاد هروبا من الظروف القاسية.

ب- أثر الغربة

أما بالنسبة لأثر تلك الغربة التي ظهرت عند شعراء العرب على مر العصور في التاريخ العربي فقد مر الأدب العربي وشعره، بمراحل عديدة مستمدة من ظروف العصر والبيئة اكسبته شخصية لها صفاتها ومعالمها، خاصة بظهور الغربة عند شعراء العصر العربي الحديث والمعاصر، حيث هاجر معظم الشعراء إلى بلاد أخرى، وهذا ما جاء به الشعراء المهجر، حيث تم ظهور تلك الغربة في شعر المهجر، الأمريكي الجنوبي والشمالي، فتغرب هؤلاء الشعراء أثر فيهم كثيرا من خلال شعورهم بالحنين إلى الوطن حينما ابتعدوا عنه، وإحساسهم بالغربة الروحية الحادة.

[1] زينب عباس عبد الله، الغربة في شعر جبران خليل جبران، ص 295.

حيث يعرف الحنين "بأنه مصطلح أدبي طغى على الشعراء الذين ابتعدوا عن وطنهم فاغتراهم الشوق إليه، فكانوا يتغنون به وبجماله وهم يعبرون عنه، ولا يكون شعر الحنين إلى الأوطان إذا كان المرء في وطنه، إلا إذا كانت غربة نفسية"[1] فهذا الحنين عبارة عن اكتئاب الذات سببه الابتعاد عن الأوطان، مما يجعل ذلك المتغرب يشعر بالحسرة عما آل إليه في الحاضر، فالحنين هو الشوق واللهفة لكل عزيز على الناس قد بعد عنها، وهو بذلك الشعور ينتج عن ألم يعانيه الإنسان نتيجة فقده أشياء عزيزه عليه"[2]، فالحنين نوع مشتق من الحنان الشديد.

الحنين إلى الأوطان طبيعة في النفس البشرية وفي البدوية خاصة، وهو منسجم مع طبيعة العربي الحساس في بيئته الصحراوية الواسعة، ... وارتبط الحنين الى الأوطان بكرامة الإنسان واعتزازه، وكانت الغربة عن الوطن هم شديدا"[3] فمن شده الحنين إلى الوطن أصبح هؤلاء الشعراء مغتربين روحيا، فهم في الوطن الجديد لكنهم عالقون في عالم خاص بهم يتعلق بذكريات الماضي. "وبقدر ما جاء شعر الشوق والحنين في الغربة ممثلا للنقاء الفطرة وطبيعة العربي وعواطفه في حب الوطن والتعلق بالأرض بقدر ما كان تعبيرا عن التناقض الذي تقوم عليه حياة المجتمع ما بين تقاليد قديمة وتطورات مستجده"[4] إذا فالحنين إلى البلد هو نوع من الانكسار النفسي المتمحور بين القديم والجديد.

---

[1]رزق المتوحي رزق أحمد، تجليات الغربة والحنين في شعر العمه بن عبد الله القشيري (دراسة تحليلية ونقدية)، مجلة الزهراء، كلية التربية، جامعة منصورة، ص 466.

[2]المرجع نفسه، ص 466.

[3]يحيى جبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص 09.

[4]علي عبد الخالق علي، ظاهرة الاغتراب وصداها في الشعر المعاصر، ص 115.

فذلك الاغتراب ولد نوعا من الغربة الروحية، وهذا يعني اختراع الإنسان عن زمن الحالي الذي يعيشه والاتجاه إلى تمجيد الماضي فيفصل عن تاريخه الحالي ليعيش وجدانه وعقله في الزمن القديم، إنها الغربة الروحية التي أقامت عالما بينه وبين مجتمعي القديم فرح الشاعر يتعمق في شكواه، وأحزانه، وروحه "فالإغتراب الروحي تلك الحالة التي يشعر فيها الفرد بانفصاله عن ظرف إنساني مثالي ويتطلع –تبعا لذلك–إلى الانعتاق من العالم المحيط به إلى عامل من صنع نفسه، ويرى الباحث أن هذا الاغتراب هو نتاج تراكم عدة أنواع اغترابية كالاجتماعي والعاطفي وسواهما، إذ أن تعاقب الإخفاقات والإحباطات تؤدي بالإنسان إلى اعتزال واقعه اعتزالا كليا"[1].

فذلك الإغتراب الروح عبارة عن معاناة الشاعر نفسيا وفكريا، يجعله يصنع واقعا مخالفا للواقع الحقيقي الذي يعيش فيه ويتعبه، فهو "كنوع من الهرب من الواقع المعاش والدعوة إلى عالم المثل، وذلك حينما يحلق الإنسان بفكره وروحه من عالمه الذي أرهقه وجوده فيه إلى عالم أقرب ما يكون إلى الخيال الذي لا يتحقق"[2]، حيث يرى هيكل بأن الغربة أو الاغتراب ليس شيئا تافه بل" يتمثل في تخارج الروح وتجليه على نحو إبداعي في الطبيعة أولا، وفي أضرب الحضارة المختلفة ثانيا، فهو في جوهره خلق إبداع لشيء آخر يكون عاملا ضروريا المعرفة والتحرر"[3]، فقد يكون الاغتراب سلبيا من خلال التأثير في النفسية، ومن جهة أخرى هو إيجابي مما يساهم في عمليه الخلط والابتكار فيذهب هؤلاء

[1]محمد راقي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 97.

[2]أحمد علي الفلاحي، اغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، ص 20.

[3]المرجع نفسه، ص 21.

الشعراء المغتربون إلى استعادة ماضيهم ومدينتهم في قصائدهم فرارا من الألم والاستلهام التراث الإسلامي، والعودة إلى الطفولة، ووصف لحظات الوداع.

فهذا الحنين إلى الوطن قد نراه عند شعراء المهجر الأمريكي بكفيه الجنوبي والشمالي، حيث جاء شعره مملوء بالحنين الصادق والعاطفةالجياشة حيث "كان موضوع الغربة و الحنين إلى الأهل و الديار و الأوطان و الشوق للحما و صور الفراق و ألام الغربة قد استودعت أذهان كثير من الكتاب وأدباءهم واهتماماتهم في التراث العربي"[1].

فالمهجريون عندما ابتعدوا عن الأماكن التي عاشوا فيها طفولتهم إضافة إلى ضياعهم وحرمانهم من كل شيء أثناء بعدهم عن وطنهم، جعلهم ذلك يحسون بالشوق والألم بسبب ابتعادهم عن أهلهم، "ومن منطلق هذا الواقع القاسي بدا شعراء المهجر ينظمون القصائد والمقطوعات التي تصور ما يعانون في بلاد الاغتراب، وقد اسعفهم في إبراز طابعهم الرومانسي البيئة التي هاجروا إليها، والتي ازدهرت فيها المذاهب الفنية المتعددة، وفي طليعتها للاتجاه الرومانسي، فصادف هذا الاتجاه هوى وألفة في نفوس الشعراء"[2]، فتعلق هؤلاء بذلك الاتجاه الذي يساعدهم في التعبير عن حنينهم وحزنهم، فكتبوا على نظمه، لأنهم رأوابأنه الوسيلة الأفضل للكشف عن أحوالهم.

وهكذا فإن الشعراء عندما أحسوا بالغربة الروحية، وراحوا يعودون إلى الماضي بأكمله فيصنعون سعادة بذلك الخيال الذي كونوه، الذي أصبح كالحلم بالنسبة إليهم، "وشعراء الغربة ينتزعون ذواتهم من الحاضر المؤلم انتزاعا وينفكون منه لعالم آخر مغلق بذكريات الماضي

[1] يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص 14.

[2] واصف أبو الشباب، القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، ص 157.

الحلو أو إلى مجهول يظهر الغيب في المستقبل، فالماضي وجود عامل تحده الحدود في الزمان والمكان، ولكنه أطياف تتراءى كالأحلام"[1].

المبحث الثاني: صورة الغربة الروحية في نماذج شعرية

إذا انعطفنا نحو الشعر العربي المعاصر سوف نجد أن انعكاس الاغتراب عليه بات منتشرا بكثرة، وهذا بسبب الظروف المعيشية، وتعقيد الحياة، وزيادة أوضاع المجتمع، فأصبح الكثير من الشعراء مصابين بهذا الداء الاغترابي، فالإنسان يعيش في جماعة ينقل فيها حياته النفسية لهم، فالاغتراب معروف في هذا القرن عند الكثير من الشعراء من خلال محاكاتهم للرومانسيين، خاصة شعراء العرب في المهجر، فاعتزلوا المجتمع، وملأت نفوسهم الحزن، والتبعثر "ويمثل شعور الغربة والضياع بعدا آخر من أبعاد تجربة شاعرنا المعاصر الحزينة، في المنطقة الالي إلى الذي يجرك المجاميع يجعل الذات المفردة تظل طريقها، لأنها عندئذ تتحرك وتسير وحدها، تلوك أحلامها وآلامها وحدها"[2]، هكذا حينما يشعر الشعر بالضياع يصير الحزن والتغرب أسيرا له، فيتغنى بالألم والحنين إلى الماضي.

فشعراء المهجر الذين هاجروا إلى بلاد أخرى غير وطنهم وعاشوا فيه، قد أحسوا بالغربة الروحية ونفورهم من المدينة حيث "اتخذ الشعراء الرواد مواقف متنوعة من المدينة تراوحت بين الرفض والقبول والتعاطف، كلهم بحسب الظروف التي نشأ فيها، و أشكال الاغتراب التي عاش منها، ولذلك نرى أن للشاعر أحيانا اكثر من موقف تمليه عليه نظرته إلى المجتمع"[3] فهذا الموقف لا يكاد يخرج عن نطاق موقفه من المجتمع وقيمه وأسلوب

---

[1] يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص 132.

[2] عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص 367-668.

[3] محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 82.

حياتهم، فعكس هؤلاء الشعراء اغترابهم الروحي في القصائد التي كتبوها، وهي بمثابة وسيلة للتعبير عن حزنهم وحنينهم إلى وطنهم، "وعند تتبعنا للشعر المهجري نرى ظاهرة الغربة والاغتراب تبرز بشكل كبير جدا حيث أن الشعراء في المهجر عكسوا شعور الغربة في جل قصائدهم ببعدها المادي والمعنوي، ويتجلى ذلك واضحا عند شعراء المهجر الشمالي والجنوب على حد سواء الشعر في المهجر لم يجد سوى القصائد لكي يعبر بها عن حالة التمزق والشتات والحرقة وألم البعاد عن الوطن والأحباب والأهل والخلان الذين اضطروا لمفارقهم مرغمين بسبب الظروف التي عصفت بالوطن العربي"[1] هذا ما دفع الشعراء إلى الهجرة.

ومن خلال تتبعنا لظاهرة الغربة في الشعر العربي الحديث والمعاصر نجد بعض من الشعراء الذين أحسوا بالغربة، وعانوا منها من هم بدر شاكر السياب، عبد الوهاب البياتي، إيليا أبو ماضي، جبران خليل جبران، وغيرهم من الشعراء، حيث احتوت قصائدهم باستعادة الماضي والمدينة الحلم حيث أن "للماضي نكهة خاصة عند الإنسان لا سيما ذلك الذي أثقلت أحزان الحاضر كاهله، وأخذ الاغتراب بخناقه، فالماضي على وفق هذا التصور مرفأ يرتاد الشعر فرارا من الألم، والتماسا للراحة وإن كانت في الحلم والخيال"[2] لذلك يفر الشعراء إلى ماض صنعوه في خيالهم يزيح عنهم قليلا من الحزن افضل من ذلك الماضي القاسي الذي عذبهم.

[1] زينب عباس عبد الله، الغربة في الشعر جبران خليل جبران، ص 292.

[2] محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 109.

كذلك قام الشعراء باستلهام التراث العرب والإسلام "ولا شك في أن للتاريخ والبطولات سحرا خاصا عند الشاعر إذ يحقق من خلال التغني به كثيرا من طموحه الذي يعجز عن بلوغه في مجتمعه، ولحظته الحاضرة[1]، وهذا من أجل الهرب من الغربة التي عانوا منها والتي قيدتهم، فيقارنون بين الماضي والحاضر المملوء بالغربة.

ومال الشعراء المهجر إلى الطبيعة كوسيلة للتعبير عن اغترابهم، حيث تعلقوا بها وأحبوها، واتصلوا بها روحيا، "وهم لذلك يناجونها، ويستلهمونها، ويتمثلون بها ويبيتونها آمال قلوبهم وآلامها، وأشواق نفوسهم وحيرتها، وهي توحي إليهم بالحنين إذ تذكرهم بما كانوا يجدونه من جمالها الفتان في ربوع بلادهم، وتوحي إليهم بالتعمق العميق في أسرارها"[2]، فالطبيعة كانت المنادى الوحيد للجوء إليه للتعبير عما يختلج في صدورهم.

إضافة إلي حنين هؤلاء الشعراء إلى الطفولة وماضيها السعيد "لان الهروب الرومانتيكي من الواقع والعودة إلى الماضي أو التوجه إلى المستقبل –إلى عالم الحلم والمثل الأعلى–هو بمثابة تعويض للإنسان بواسطة الوعي ذلك الواقع الحقيقي"[3]، وإضافة إلى حنينهم إلى المحبوبة والأهالي والديار والأماكن الموجودة في وطنهم، لذلك سنقوم بعرض بعض النماذج التطبيقية التي طبقناها على أهم الشعراء الغربة الروحية الذين أثروا في الشعر العربي الحديث ونمائه.

I. بدر شاكر السياب

---

[1]نفس المرجع ، ص 115.

[2]يحيى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، ص 98.

[3]المصدر نفسه، ص 105.

يعتبر بدر شاكر السياب من أهم الشعراء العراقيين، وهو من مؤسسي الشعر الحر، دون أن ننسى بأن قصائده قد تميزت بالكثير من الاغتراب الاجتماعي والنفسي، "فالسياب شاب ريف نزح من قرية صغيرة ودخل المدينة وهو يعاني من الغربة الاجتماعية، فلا عجب إذا نفر من بغداد مثلا، لأنها عجزت أن تمحو صورة جيكور، كما يقول إحسان عباس فقد خذلته عاطفيا وسياسيا"[1].

فالسياب قد عاش غربة روحية ونفسية صعبة، بعد تغربه الاجتماعي والعاطفي والسياسي، وهذا ما نجده في الكثير من قصائده التي تدل على الغربة بشتى أنواعه.

فقصائد السياب قد كانت مليئة بألفاظ مفعمة بالحزن والمآسي، وماعاناه من اغتراب النفسي واجتماعي، وهذا ما جعل الشاعر يبدع في قصائده ومن بين هذه القصائد، قصيدة غريب على الخليج حيث يقول:

الريح تلهث بالهجيرة كالجثام، على الأصيل

وعلى القلوع تظل تطوى أو تنشّر للرحيل

زحم الخليج بهنّ مكتدحونجوّابو بحار

من كل حاف نصف عاري

وعلى الرمال، على الخليج

جلس الغريب، يسرّح البصر المحيّر في الخليج

[1] المرجع نفسه، ص 82.

ويهدّ أعمدة الضياء بما يصعّد من نشيج

أعلى من العبّاب يهدر رغوه ومن الضجيج"

صوت تفجّر في قرارة نفسي الثكلى: عراق

كالمدّ يصعد، كالسحابة، كالدموع إلى العيون

الريح تصرخ بي عراق[1]

ففي هذا المقطع يعاني السياب من الألم والحزن والغربة والتعب الشديد، حيث عبر عن هذا الاغتراب بجعل الريح تجري، وزيادة حرارة الجو، فالكلمات الآتية (الريح، الخليج، الغريب، الدموع، تصرخ، عراق) كلها تدل على أن الشاعر قد جسد صورة الاغتراب النفسي ونوازع الشوق للعودة إلى الوطن، وكان البحر يصرخ بصوت عراق، فبالرغم من اتساعه فهو يؤول إلى عودة الشاعر إلى الرغبة في لقاء وطنه، فقدم لنا صورة الخليج ببعدها السلبي، لأنه يعاني من نفسه وبعده عن بلده الحبيب كذلك يقول:

و الموج يعول بي عراق ، عراق ، ليس سوى عراق

البحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما يكون

والبحر دونك يا عراق

بالأمس حين مررت بالمقهى، سمعتك يا عراق[2]

[1]بدر شاكر السياب: الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، د. ط، المجلد1، 2016 م، ص 06.

[2]المصدر نفسه، ص 6.

فالشاعر قد عبر عن حالته النفسية المغتربة عن طريق مشاركته الطبيعة للتعبير عن نفسه، فعندما نعود إلى هذه الصرخة نرى أنه ليس هو فقط من يصرخ بل حتى الأمواج والبحر يصرخان معه، فباتت هي الأخرى تنادي بالعراق فهم يدلان على اغتراب الشاعر، مما يدل على شدة تمزق الشعر ذاتيا، وما يعيشه من واقع اغترابي، "إنه يناجي الوطن وذكره بحاله وترحاله، ولا شك أن الوطن قد أصبح هدفا استراتيجيا لبناء نصوصه الشعرية الموسومة بالنزعة الوطنية وفي أبيات أخرى يقول:

لو جئت في البلد الغريب إلى ما كمل اللقاء

الملتقى بك والعراق على يديّ .. هو اللقاء

شوق يخضّ دمي إليه، كأن كل دمي اشتهاء[1]

فهنا الشاعر يعبر عن شدة شوقه إلى وطنه العراق، حيث تمنى لو يعود إلى الوراء ليلتقي بها، فشبه الدم كأن يخضها الشوق فكل الآلام وأحاسيس الاغتراب، فمن شدة حنينه لها أصبح لقاء وطني حلما بالنسبة له، حيث يقول:

فلتنطفي، يا أنت، يا قطرات، يا دم، يا .. نقود

يا ريح، يا إبرا تخيط لي الشراع، متى أعود

إلى العراق؟ متى أعود؟

يا لمعة الأمواج رنحهن مجداف يرود

[1]بدر شاكر السياب: الديوان، مج2، ص 08.

بي الخليج، ويا كواكبه الكبيرة .. يا نقود[1]

فهنا الشاعر يسأل نفسه متى سيعود إلى العراق، الخيال الذي رسمه في ذاكرته أصبح حلما صعبا لدرجة خوفه من اللقاء سائلا الريح عن موعد اللقاء، في السياب في قصيدته "غريب على الخليج" قد أحس فيها كأنه يتيم في حياة غريبة، ولحبه لوطنه جلس على شاطئ الخليج حائرا ومبصرا في البحر والأمواج والرياح واختلط فؤاده بين الأمل وخيب الخيبة فيردد بلفظه العراق في كل دورة "والعراق تمثل له كل شيء سيما الأم ومحياها ونبرات صوتها، وهو يتذكر العراق فيذكر كل ذكرياته فلا يدري هو أأحب (زهرة) من أجل العراق، أم احب العراق من أجلها، ويأخذه الحديث عن الليل والخوف والتخيل حين يعم الظلام، ويتصور أشباحا تخطف الأطفال"[2] وهذه بالمختصر المفيد دلالة الغربة في "قصيدة غريب الخليج" فهو لدرجه تعلقه بوطنه اصبح يتوق للعراق، وتعجب كيف للمواطن أن يستطيع خيانة وطنه في قوله:

إني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون؟

أيخون إنسان بلاده؟

أما عندما نذهب إلى قصيدة "تَمُّوزُ جَيْكُور" فنرى بأن الشاعر قد احس بالفراق العميق على وطنه، فحن إلى قريته ديكور وطبيعتها، فهو لم ينساها أبدا بالرغم من مفارقته لها حيث يقول:

---

[1] المصدر نفسه، ص 09.

[2] علي عبد الخالق علي: ظهرت الاغتراب وصداها في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج، ص 119.

جَيْكُورُ سَتُولَدُ جَيْكُورُ

النُّورُ سَيُورِقُ وَالنُّورُ

جَيْكُورُ سَتُولَدُ مِن جُرْحِي

مِنْ غَصَّةِ مَوْتِي، مِنْ نَارِي

سَيَفِيضُ الْبَيْدَرُ بِالْقَمْحِ

وَالْجُرْنُ سَيَضْحَكُ لِلصُّبْحِ [1]

فهنا يبين الشعب بأن جيكور أكيد سوف تولد من جديد، وان هناك أصل شعاع منير يقول لنا بأن جيكور تتنعم عليها السعادة والهدوء، لكي يخرج من غربته الاجتماعية، حيث يقول:

هَيْهَاتَ أَتُولَدُ جَيْكُورُ

مِنْ حِقْدِ الْخِنْزِيرِ الْمُتَدَثِّرِ بِاللَّيْلِ[2]

ففي هذه الأبيات جيكور تعبر عن همومه الشخصية والقومية، واعتبرها دليل على صباه وشبابه، فهنا يعبر عن الضياع والعذاب، وأن الحلم مستحيل وصعب، كذلك يقول في قصيدة "جيكور والمدينة"

[1] بدر شاكر السياب: الديوان، مج2، ص 73.

[2] المصدر نفسه، ص 74.

وتلتفّ حولي دروب المدينة

حبالا من الطين يمضغن قلبي

ويعطين عن جمرة فيه طينة

حبالا من النار يجلدن عرى الحقول الحزينة

ويحرقن جيكور في قاع روحي[1]

فهنا الشاعر يصف لنا جيكور جين التفت عليها الإخوان فكأنهم حرقوا روحه، فالسياب قد عاش في قرية ريفية، لكنه حين ذهب إلى المدينة أصبح ضائعا في حنية لها، فشاعر يقارن حياة المدينة التي يرفضها بجيكور، فهو قد انغمس في مدينة التي يعيش فيها، التي تنعدم فيها القيم الإنسانية والناس البسيطين، حتى الطبيعة الجميلة، فكل الكلمات (يحرقن، جمرة، حبالا) تدل على الغربة القاسية، دون أن ننسى قصيدته "العودة لجيكور" فيقول:

على جواد الحُلُم الأشهب

وتحت شمس المشرق الأخضر

في صيف جيكور السخي الثري

بين الندى والزهر والماء

[1]المصدر نفسه، ص 75.

أبحث في الآفاق عن كوكب

عن مولدٍ للروح تحت السماء

عن منبعٍ يُروِّي لهيب الظماء

عن منزل للسائح المتعب[1]

الشاعر قد أحس بغربه قاسية جعلته يغترب نفسيا ومكانيا، حيث أصبح يبحث في الأزهار والكواكب عن مكان ترتاح فيه تلك النفس المتعبة، التي مزقتها الظروف القاسية، فرحة لم تستطع التحمل فلابد لها من منبع ترتوي منه النفس، فالشاعر عانى من غربه اجتماعية ونفسية حادة يقول:

من الذي يسمع أشعاري؟

فإن صمت الموت في داري

والليل في ناري

من الذي يحمل عبء الصليبْ

في ذلك الليل الطويل الرهيبْ؟

من الذي يبكي ومن يستجيب

للجائع العاري؟

[1]بدر شاكر السياب: الديوان، مج 2، ص 81.

****

أواه يا جيكور لو تسمعينْ!

أواه يا جيكور ... لو توجدينْ![1]

ففي هذه الأبيات نلاحظ بأن الشاعر يعاني من القهر والعذاب، لدرجة أنه صنع عالما خاصا بخياله، ويتحاور مع نفسه، ويسأل عمن يواسيه في حزنه، ومن سيسمع أشعاره التعيسة التي كتبها، فكل الكلمات (صمت، الليل، ناري، الجائع، يبكي) كلها تدل على الغربة الروحية التي يعيشها ولم يجد لها حلا ولا طريقا لكي يرتاح قليلا فيمن غربته المكانية بسبب مفارقته لوطنه وقريته جيكور.

أما في قصيدة "النهر والموت"، فقد تمثلت في تحدث السياب عن طفولته التي ماتت وزالت، فالشاعر قد حن إلى طفولته وقريته وصباه، فذكر السياب لطفولته شيئا لا يمكن نكرانه في قصائده في الشعر متعلق كثيرا بطفولته، حيث تكلم عنها في قصيدة "النهر والموت" حين تكلم عن نهر بويب حيث يقول فيها:

بويب..

بويب...

أجراس برج ضاع في قرارة البحر

الماء في الجرار والغروب في الشجر

[1]المصدر نفسه، ص 82.

وتنضح الجرار أجراسا من المطر

بلورها يذوب في أنين

"بويب.. يا بويب!"

فيدلهم في دمي حنين

إليك يا بويب،

يا نهري الحزين كالمطر.[1]

فهنا الشاعر يتكلم عن نهر بويب الذي عاش فيه طفولته، فيعود بعقله إلى الوراء، أي طفولته وأحلامه الجميلة، في الشعر هنا يعاني من زوال مكانه وزمانه الذي إنعدم فهذه الأبيات دليل على حنين الشعر إلى ذكريته السعيدة حينما كان طفلا بريئا، خاصة عندما قال "في دمي حنين" وكان شوقي يسري في دمه كله، الشاعر غير متقبل لهذا الواقع الحزين الذي يعيشه فتلك الطفولة قد مضت بسرعة.

أما في قصيدة "مدينةسندباء" فقد استعمل الشاعر المطر كوسيلة للتعبير عما يحس من غربة وبعد عن الوطن، فاستعمل ذلك اللفظ متوقعا مستقبل أفضل للعراق، حيث يقول:

جوعان في القبر بلا غذاء

عريان في الثلج بلا رداء

[1]بدر شاكر السياب: الديوان، مج 2، ص 105.

صرخت في الشتاء

أقضّ يا مطر

مضاجع العظام والثلوج والهباء

مضاجع الحجر

****

فآه يا مطر

نودّ لو ننام من جديد

نودّ لو نموت من جديد

فنومنا براعم انتباه

وموتنا يخبّئ الحياة[1]

فالشاعر هنا يستدعي المطر ويأنسه ويخاطبه طالبا منه أن يقضي مضاجع العظام والثلوج والهباء، في العظام وموتا بلا حياة والثلوج برد بلا دفء، فالسياب استعمل المطر كمحفز للإرادة، وغضب شديد يسعى من خلاله النهوض والتخلص من زمن القهر والخوف، فهو يعاني من غربة اجتماعية، ولكنه رغم المطر يحس بالظمأ مثل ما تحس العراق

[1]بدر شاكر السياب: الديوان، مج 2، ص 113-114.

بالعطش، فكان لابد من المطر أن يروي بذورا تنبته لتحمل الغداء المشرق، فالشاعر أحس بحساسيته المفرطة بسبب ما تعانيه المدينة وهي العراق من جوع وعري.

حيث واصل الشاعر حالته الاغترابية، حيث كثر عليه الألم والحزن، فلم يعد تستطيع النفس تحمل لذلك الاغتراب، فيتمرد الشعر معلنا غضبه وعدم تحمله، فعندما يلتفت الشاعر إلى نفسه المزرية و حالتها، يرسل شكواه إلى الآخرين، حيث وقف الشعر على مدينته التي دمرت وخربت، التي أصبحت بدون ماء وأراضي زراعية، كذلك نجد حنين الشاعر إلى وطنه وهذا بعد فراقه وبعده عنه، لذلك عبر عن ذلك الحب والشوق في أبيات غزلية، يفرغ من خلال اغترابه وألمه، حيث يقول:

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحَرْ،

أو شُرفتان راح ينأى عنهما القمر.

عيناك حين تبسمان تورق الكرومْ

وترقص الأضواء... كالأقمار في نهَرْ[1]

والشاعر لشدة لهفته للقاء وطنه، يملئ هذه الأبيات بالكثير من الألفاظ الدالة على الغربة الموحشة من خلال الكلمات (البكاء، رعشة، نشوة، وحشية، تعانق، الغيوم، السحاب) فكل هذه العبارات تشير إلى الألم الذي يعانق الشاعر، فشبه نفسه كالطفل الذي يخاف حتى من القمر، وكأن شوقه يعانق السماء.

[1]بدر شاكر السياب: الديوان، مج 2، ص 121.

كذلك جاءت في قصائد السياب دلالات تدل على بعده عن وطنه ومنفاه، ودرجة تأثره بذلك الاغتراب خاصة بابتعاده عن قريته جيكور، فالشاعر ملجأه السعيد وطنه لكن عند الابتعاد عنه يصيبه الحزن والألم، حيث يقول في قصيدته "لأني غريب":

لأنّي غريب

لأنّ العراق الحبيب

بعيد وأني هنا في اشتياق

إليه إليها أنادي: عراق

فيرجع لي من ندائي نحيب

تفجر عنه الصدى

أحسّ بأني عبرت المدى

إلى عالم من ردى لا يجيب[1]

فهذه الآيات تدل على شدة اشتياق الشعر لوطنه العراق الحبيبة، في الشعر هنا يعبر عن شوقه وابتعاده عن عراقه التي ترعرع فيها، حيث يحس بأنه في عالم بعيد ذهب إليه وأحس فيه بالغربة المؤلمة، وهذا دليل على حنينه إلى الوطن، فهو ينادي العراق لكن لا أحد يجيب على ندائه، "فالعراق الوطن لا يطيق الشاعر لابتعاد عنه فهو في حر وشوق إلى العودة إليه بل النأي عنه –في نظره– عبور إلى مدى مجهول إلى عالم من ردى، فالوطن

[1]بدر شاكر السياب: الديوان، مج 2، ص 268.

في شعر السياب هدف استراتيجي والمتلقي يدرك ما يمثله هذا الهدف في قصائده، ويتوخى من كل القارئ أن يدرك قيمه العراق"[1]فالشعر قد أحس بغربة روحية، بسبب النفي والتغرب، فالشاعر كان كلما أحس بالغياب والغربة يذهب إلى الحنين إلى قريته، يقول في قصيدة "يا غربة الروح":

يا غربة الروح في دنيا من الحجر

والثلج والقار والفولاذ والضجر

يا غربة الروح لا شمس فأئتلق

فيها ولا أفق

يطير فيه خيالي ساعة السحر

نا تضيء الخواء البرد تحترق

فيها المسافات تدنيني بلا سفر

من نخل جيكور أجني داني الثمر[2]

ففي هذا المقطع، يظهر السياب بأن الشمس لا تضيء الغربة الروحية في ذاته، بل هي تكشف عن ذلك الاغتراب، ثم بعد ذلك يصف حاله وضيقه في المدينة الجديدة يقول:

[1]المصدر نفسه، ص 137.

[2]المصدر نفسه، ص 660.

مسدودة كل آفاقي بأبنية

سود وكانت سمائي يلهث البصر

في شطها مثل طير هده السفر

النهر والشفق

يميل فيه شراع يرجف الألق

*****

دنيا فوانيس في الشطين تحترق

*****

فوق الجناحين ... حتى يلهث النظر[1]

فهنا الشاعر يعبر عن اغترابه النفسي وسط الأبنية الكبيرة، التي لا يستطيع التنفس فيها، حيث وصف نفسه كتلك الفراشة الهائمة التي أحرقتها الشمس الشديدة، فالسياب يشير إلى اشتياقه إلى الحياة الريفية البسيطة الماضية وقريته، فالمدينة لا تقارن بالريف، لأنها لا تحتوي على البساطة في العيش، فالشاعر هنا قد أحرقته المدينة الجديدة المملوءة بالضجيج، فالشاعر شديد التعلق بالعراق لما يحمله من ذكريات غالية لديه، حيث يقول في قصيدته "وصية من محتضر":

[1]الديوان بدر شاكر السياب، مج 2، ص 661.

أين العراق؟ وأين شمس ضحاه تحملها سفينة

في ماء دجلة أو بويب؟ وأين أصداء الغناء

خفقت كأجنحة الحمام على السنابل والنخيل

من كل بيت في العراء

من كل رابية تدثرها أزاهير السهول

إن مت يا وطني فقبر في مقابرك الكئيبة

أقصى مناي وإن سلمت فإن كوخا في الحقول

هو ما أريد من الحياة فدى صحاراك الرحيبة[1]

الشاعر هنا بسبب بعده عن وطنه العراق، تذكر الطبيعة الجميلة حيث ذكر الماء الدجلة في بويب من خلال الكلمات (شمس دجلة، بويب، السنابل، النخيل، أزاهير، السهول)، فهو يسأل عن المناظر الخلابة التي كانت تشرق وطنه، ثم قال: "إن مت" أي أنه تمنى لو يموت في كوخ الموجود في الحقول، ويتم دفنه في مقبرة من مقابر العراق، فسيبقى عاش غربة المكانية صعبة فتحمل الكثير من الأحزان، حزن عاشوا في العراق بسبب الفقر وانهزام النفس، ومن جهة أخرى حمل هم الغربة بعيدا عن وطنه.

[1]الديوان بدر شاكر السياب، مج 2، ص 325.

إضافةإلى حنين الشاعر إلى الماضي ومجده في الشعر الذي زال واندثر، فالشاعر قد عرف غربة مرتبطة بالحضارة، فحنينه ألغى الماضي ومجده في الشعر المعاصر ظهر في قصيدة "في المغرب العربي" حيث يقول:

قرأت اسمي على صخرة

هنا في وحشة الصحراء

على آجرّة حمراء

على قبر فكيف يحس إنسان يرى قبره

يراه وإنه ليحار فيه[1]

فالشاعر هنا يبكي على مجده الإسلامي الذي زال، ولم يبق منه إلا الآثار، فالصخر والقبر هي ما تبقى من الماضي، يفتخر بماضيه من جهة، ومن جهة أخرى يتحسر عليه لزواله، ثم يقول:

أحيّ هو أم ميت؟ فما يكفيه

أن يلقى له ظلا على الرمال

كمئذنة معفّرة

كمقبرة

[1]الديوان، بدر شاكر السياب، مج 2، ص 61.

كمجد زال[1]

حيث شعر الشاعر بأن كل ما كان العربي يفتخر به، زال ومضى بمرور الزمن، لأنه في حيره إذ هو حي أم مات، فالسياب قد تغرب نفسيا خاصة عند تذكره لوطنه الذي عاش حالة دمار وخراب، ولم يتبقى فيه إلا الآثار الهادئة والمؤسية، فهو يشعر بالأسى والألم عما قالت إليه الحضارة من تبعثر لدرجة عدم التمكن من إرجاعها إلى ماضيها الجميل.

إذن فالسياب بدون شك قد عاش غربة مكانية واجتماعية، لكنه علاوة على ذلك قد عانى من اغتراب عاطفي حاد، فالشاعر طول حياته وهو يتمنى بأن يذهب إلى الوراء ليعيش الماضي الجميل مرة أخرى، لأنه قد حرم في حياته من حنان الأم موتها مبكرا وموت جدته، وتجربته الفاشلة مع الكثير من الحبيبات، حيث يقول في قصيدته "الباب تقرعه الرياح"

أماه ليتك لم تغيبي خلف سور من حجار

لا باب فيه لكي أدق ولا نوافذ في الجدار

كيف انطلقت على طريق لا يعود السائرون

من ظلمة صفراء فيه كأنها غسق البحار

كيف انطلقت بلا وداع فالصغار يولولون

[1]المصدر نفسه، ص 61.

يتراكضنون على الطريق ويفزعون فيرجعون

ويسائلون الليل عنك وهم لعودك في انتظار

الباب تقرعه الرياح لعل روحا منك زار

هذا الغريب هو ابنك السهران يحرقه الحنين

أماه ليتك ترجعين[1]

فهنا الشاعر يحن إلى أمه وذكرياته معها، فهو يعاني من غربة متوحشة بدون أمه، فينتظر على من يدق على بابه، لكن لا أحد يدق عليه، ويتحسر على موت أمه التي فارقته دون وداع، فهو ينتظرها بكل لهفة، لكن لا لقاء ولا زيارة منها، حيث أصبح كالغريب بين الظلام في الليل يسهر شوقا لملاقاة أمه، فيتمنى لو أنها تعود للحياة أيضا، يقول في قصيدة "في ليالي الخريف"

آه لو تعلمين

كيف يطغى علي الأسى والملال؟!

في ضلوعي ظلام القبور السجين

في ضلوعي يصبح الردى

بالتراب الذي كان أمي: غدا

[1]الديوان، بدر شاكر السياب، مج 2، ص 116.

سوف يأتي فلا تقلقي بالنحيب

عالم الموت حيث السكون الرهيب![1]

السياب هنا قد أحس بالحنين إلى أمه بعد أن ضاق عليه صدره من كثرة الغربة والألم الذي أحس بهما، فهو يصف الشوق الذي هام في ضلوعه، التي تصيح بلقاء أمه، التي فقدها وهو صغير، فمنذ صغره وهو يحن لها صبر كثيرا حتى ضاقت فيه النفس، حالته النفسية العاطفية في تلك الأبيات، إضافة إلى أن الشاعر قد فقد جدته التي ربتها بعد موت أمه، وعطفت عليه وأنسته مرارة فقدان أمه، حيث يقول في قصيدة "رثاء جدتي"

جدتي من أبث بعدك شكواي

طواني الأسى وقل معيني

أنت يا من فتحت قلبك

بالأمس لحبي أوصدت قبرك دوني

فقليل عي أن أذرف الدمع

و يقضي علي طول أنيني

ليتني لم أكن رأيتك من

قبل و لم ألق منك عطف حنون

[1]الديوان، بدر شاكر السياب، مج 2، ص 321.

آه لو لم تعوديني على العطف

و آه لو لم أكن أو تكوني[1]

فنفسية الشاعر قد تدهورت لأنه صدم بموت جدته التي حنت عليه وعاش في منزلها بين أحضانها من قبل، أما الآن فهي في قبرها تنام، لذلك شكى أحزانه ومعاناته بسبب موتها، فمهما بكى فلن يشبع من الأنين، أتمنى لو لم يتعود على رقتها وعطفها حتى لا ينصدم بموتها لهذه الدرجة، فـ"آه" تدل على القلب الحزين.

هكذا قد عانى السياب من غربته الاجتماعية حين مفارقته لأهله، وزواج أبيه من امرأة أخرى، حيث يقول في قصيدة "خيالك":

أبي منه قد جردتني النساء

وأمي طواها الردى طواها الردى المعجل[2]

علاوة على ذلك قد عاش السياب الكثير من التجارب الفاشلة، فقد عرف الكثير من النساء في حياته لكن ولا واحدة قد أشعرته بذلك الحنان الذي وجده في عائلته، ولم تستطع أي امرأة ملىء أن ذلك الفراغ العاطفي الذي عانى من، حيث يقول في قصيدته "أحبيني":

و ما من عادتي نكران ماضي الذي كانا

و لكن كل ممن أحببت قلبك ما أحبوني

[1]الديوان، بدر شاكر السياب، مج 2,ص 98.

[2]المصدر نفسه، ص 121.

و لا عطفوا علي عشقت سبعا كن أحيانا

ترف شعورهن علي تحملني إلى الصين[1]

فالشاعر في هذه الأبيات تحكي عن النساء الذين أحبهم لكنهم لم يبادلنه كل ذلك الحب، ولم يحنن عليه، هذا ما جعله يحس بالاغتراب العاطفي المؤلم، وإحساسه بالعجز والاكتئاب، فهو لا ينكر الماضي، بل يعترف به، فأي إنسان لابد له من ان يكون في حياته امرأة تحن عليه وتحبه، وتشاركه حياته، لكن السياب لم يحظى بهذا الحنان العاطفي، وقد ذكر حبيباته في الكثير من القصائد منها (أراها غدا، ذكريات الريف ...)، كذلك قد عانى السياب من مرضه الذي أصابه وأشعره بالفشل، مما تشكلت لديه حالة نفسية صعبة أهلكها المرض، حيث يقول في قصيدته "رئة تتمزق"

الداء يثلج راحتي، ويطفيء الغد ... في خيالي

ويشل أنفاسي ويطلقها كأنفاس الذبال

تهتز في رئتين يرقص فيهما شبح الزوال

مشدودتين إلى ظلام القبر بالدّم والسعال ..

واحسرتا ؟! كذا أموت؟ كما يجف ندى الصباح؟[2]

[1] الديوان، بدر شاكر السياب، مج 2، ص 639.

[2] الديوان، بدر شاكر السياب، مج 2، ص 301.

السياب هنا يصف حالته الجسمية الصعبة التي يعاني منها، فذلك الوصف يبين اغترابه النفسي، حيث شبه الداء وكأنه يجمد راحته، ويمنع قدوم الغد عنده، حيث أن المرض انتشر في جسمه وأعضائه، فيتحسر من الطريقة التي سيموت فيها، حتى في ذهابه من الدنيا، سيذهب في معاناة بسبب الداء الذي أرهقه.

هكذا فإن السياب قد عان من غربتي اجتماعية بسبب فقدانه لأهله (أمه، وجدته، وزواج أبيه) ما جعله يشعر بانه غريب في مجتمعه، إضافةإلى غربته العاطفية بسبب حبه لبعض النساء لكن لسوء حظه لم تحبه ولا واحدة، علاوة على ذلك غربته المكانية التي أحسسته بغربة روحية حادة، فأحن إلى وطنه العراق وقريته جيكور ومثل هذا التغرب في قصائده الكثير من بينها التي ذكرناها، ونفوره من المدينة هذا ما نجده في بعض القصائد قصيدة (المعبد الغريق، وأنشودة المطر وغيرهم) فقصائده معظمها تدل على استعادة الشاعر لماضيه الجميل وطفولته ووطنه المجيد، وهذا كله بسبب حنينه وشوقه لماضيه.

II. عبد الوهاب البياتي

يعتبر الشاعر عبد الوهاب البياتي من أبرز رواد الشعر العربي المعاصر، خلال النصف الثاني من القرن العشرين وأحد شعراء الغربة، في رحلة الشاعر في حياته عبارة عن اغتراب وجهاد، وابتداء من النشأة في الريف، والانتقال إلى المدينة مجبرا، إلى العاصمة بغداد، ولما عاش فيها بعدها اضطر للرحيل إلى مناف كثيرة، لذلك عبد الوهاب قد عاش غربته مبكرا وهذا منذ صغره، فقد عاش المنفى وحرم من طفولته، وقريته، فالنفي عنده هو الذي بنى شعره، وشخصيته، حيث عاش المنفى في قريته وفي المدينة، وهذا العراقي قد عرف بأشعاره المملوءة بالحزن والتغرب عن وطنه وأهله وأحبابه، حيث نجد في قصائده

الكثير من بوادر الغربة، فتارة يحن إلى أهله، وتارة إلى طفولته مرة أخرى يتملكه الشوق الى الوطن العزيز وذكرياته، يقول في قصيدته "بغداد":

بغداد، هذي دمعتي في الهوى

وما دموعي غير أشعاريه

ذوبت فيها ذكرياتي التي

كانت بليل الحب مصباحيه

وأمنيات غضة لم تزل

أنفاسها في عزلتي ذاكية

بغداد، إني ظامئ للهوى

فعطري بالحب أجوائيه[1]

فالشاعر هنا في هذه الأبيات يعبر عن مدى حبه لبغداد التي كبر فيها، فحينما يحن إليها تنهمر دموعه فيلجأ إلى كتابة الأشعار ليخفف عن حزنه، فيذكر ذكرياته التي كانت تنيرها، وعدم تحقق الأمنيات التي يحلم بها، ومن بينها عطشه للقاء بغداد، ثم يقول في قصيدة "عزلة":

عامان مرا إثر صيف في ملال تلفتي

[1]عبد الوهاب البياتي: الأعمال الشعرية دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، بيروت، د. ط، المجلد 1، 1995، ص 74

تتماوت الأيام حولي في مطارح غربتي

وأنا .... أنا كالوهم معتكف على قيتارتي

أشدو فاسمع في صداها قهقهات تعاستي[1]

فهنا الشاعر قد ذكر بأنه يعيش في غربةموحشة، فالسنين تمر بسرعة، والأيام تتبخر وهو لا يزال يعيش في عزلة مستمعا إلى صوت قيتارة كأنها أصوات تعاسته وحزنه، فهو وحيد مقهور، أيامه سلمتها الغربة التي كانت سببها المنفى.

فالعراق قد عانت من دمار والحروب والواقع المزري، هذا ما جعل الشاعر يرفض ما يصير في وطنه العربي، فتملكه موضوع من اليأس والتمرد والغضب، فحزن البياتي على ما آل إليه الريف من جفاف وظلم يقول في قصيدته "المحرقة"

وصنعت محرقتي

وكان لظى

نيرانها رئتي واعصابي

وربيعي المتوهج الخابي

ودفنت في اعماق ذاكرتي

فأسي وزوبعتي واحطابي

[1]المصدر نفسه، ص 27.

وقبور أحبابي

وفتحت ابوابي

للنور والظلمات ابوابي

والتافهون وراء حائطنا

يرنون للموتى باعجاب

وكلابهم تعوي وعالمنا

يصحو على أصوات حطاب[1]

فهنا الشاعر يعبر عن ثورته على الأعداء الذين هاجموا العراق، فيشبه نيرانها برئته وأعصابه، فكلما زاد اشتعال النيران زاد انهيار اعصابه بسبب أحبابه الذين سكنوا القبور، ويبين غضبه على التفهاء الذين يعجبهم حال هؤلاء الموتى، فالشاعر قد عاش غربة اجتماعية نفسية صعبة بسبب ما أصبحت عليه وطنه، وفي قصيدة أخرى يتبين لنا موقف البياتي على من انتهك وطنه فيتعاطف معها، فمدينة وقد أصبحت مصابة بالضجر، تخاف من الحاكم الشرير، يقول في قصيدته "مدينتي والغجر"

مدينتى استباحها الغجر

مدينتى أهلكها الضجر

[1]عبد الوهاب البياتي: الأعمال الشعرية، مج 1، ص 115.

مدينتى،القمر

يخاف من بيوتها المنفوخة البطون

يخاف من عيون حاكمها الشرير[1]

البياتي تميز في قصائده اغلبها بالوحدةوالغربةوكان للظروف يد في هذا الشعور، وكان بمرور الوقت يزداد شعوره بالوحدة القاسية بسبب نفيه المتكرر، حيث كان كل مرة يذهب ويعود من مكان إلى آخر، حيث ذكر في قصيدته "عشاق في المنفى":

وأنا ...

وأنت؟

أنا وحيد!

كقطرة المطر العقيم! أنا وحيد!

وهؤلاء

مثلي ومثلك يحفرون قبورهم عبر الجدار[2]

[1]المصدر نفسه، ص 201.

[2]المصدر نفسه، ص 149.

فشاعر يحس بالاغتراب النفسي ما جعله يشبه نفسه كقطرة المطر العقيمة ثم بعد ذلك في نفس القصيدة:

وأنا وأنت وهؤلاء

كالعنزة الجرباء، أفردها القطيع

بلا ربيع

بلا ربيع أو بيوت

من الشروق إلى الغروب

ومن الغروب إلى الشروق

نبقى ونبقى في انتظار من لا يعود[1]

فهذه الأبيات تدل على فقدان الشعر الأمل في عودة الحياة الماضية التي كان يعيشها، حيث ركز على التشبيه نفسه ووطنه بالعنزة التي تركها القطيع، فهم بلا ربيع وديار، حاصلين في انتظار أشياء ربما لن تأتي، أما في قصيدة "مسافر بلا حقائب" يقول:

وأنا وآلاف السنين

متثائب، ضجر، حزين

من لا مكان

[1]عبد الوهاب البياتي: الأعمال الشعرية، مج 1، ص 150.

تحت السماءْ

في داخلي نفسي تموت، بلا رجاء

وأنا آلاف السنين

متثائب، ضجر، حزين

سأكون! لا جدوى، سأبقى دائماً من لا مكان

لا وجه، لا تاريخ لي، من لا مكان[1]

هنا يقوم الشاعر بنفي الانتماء الى مكانه الأصلي، فهو يشير إلى أن آلاف السنين قد مرت، أصابه الملل والحزن، وتغرب نفسه وموتها ببطء، إذن هذه القصيدة قد تكررت فيها لا النافية، حين نفى نفسه من المكان والتاريخ، والوجه، ما يبين أن حياته وأيامه تتكرر بنفس الروتين، ما جعله يشعر بالكثير من الضجر، بتكرر هذه الكلمة، وغربتهالقاسية التي جعلته يحن إلى وطنه وماضيه الجميل، جعله يصور المرآة بصورة الوطن، وذلك في قصيدة "رسالة حب إلى زوجتي" بقوله:

عيناك من منفى إلى هتفى تصبان الحريق

يا أخت روحي، في عيوني، في فضاء

صحراء حبي، في عميق

[1]المصدر نفسه، ص 120.

جرحي، الحريق

يا أخت روحي، يا غرامي، يا نداء[1]

فهنا الشاعر يصور وطنه في امرأة يحبها ويعشقها، ويبعث رسالة فيها دليلا على جرحه العميق، وهذا الألم يظهر في ندائه (يا أخت روحي، يا غرامي، يا نداء) ثم يقول:

وطني البعيد

حيث الربيع يموت محترق الشفاء[2]

عبد الوهاب البياتي قد عاش اقترابا اجتماعيا خاصة بعد رؤيته للمعاناة التي عاشها وطنه وهذا ما نراه في قصيدة "الربيع والأطفال"، في وصفه للأطفال بغداد ومأساتهم، حيث يقول:

كأعين الموت

على الطريق

بغداد

كانت أعين أطفال

تبكي وتبكي

[1]المصدر نفسه، ص 209.

[2]المصدر نفسه، ص 209.

إنه الربيع

عاد إلى بلادنا[1]

هذه الأبيات تدل على معاناة الأطفال وبكائهم (أعين الأطفال، تبكي، تبكي) فهذا الوصف يكفي لإظهار الظلم الذي عانى منه طفل بلده، ونجد هذا الأسى واليأس الذي شعر به الشعراء تجاه أهل قريته، وهذا في قوله في قصيدة "كلمات لا تموت"

وسمائي تمطر

عبر الكلمات

أحزان الفقراء

وهمو يبكون[2]

فالعراق قد عاشت أوضاع سياسية متدهورة من الاستبداد والظلم لأهل القرية، خاصة بعد اقترابه وهو صغير، هذا ما جعله يحس بأبناء وطنه وأحزانهم، وظلم الاجتماعي الذي يعيشون فيه.

وبما أن البياتي عانى من الابتعاد عن الوطن لمدة طويلة، ظل متواصلا مع وطنه نفسيا، مهما كثر منفاه، في الشعر أبدع في التعبير عن غربته بعيدا عن وطنه وهذا في قوله في قصيدة "موال بغدادي":

---

[1]عبد الوهاب البياتي: الأعمال الشعرية، مج 1، ص 249.

[2]المصدر نفسه، ص 365.

بغداد يا مدينة النجوم

والشمس والأطفال والكروم

والخوف والهموم

متى أرى سماءك الزرقاء؟

تتغنى باللهفة والحنين[1]

هنا يعبر الشاعر عن شوقه وحنينه الحاد إلى بغداد، وطنه الذي ترعرع فيه وعاش أجمل ماضيه، فهو انتظر اليوم الذي يلاقي فيه سمائها فيقول (تنبغي باللهفة والحنين) هذا البيت يكفي لتبيان مدى لهفة الشعر للعودة إلى وطنه الحبيب الذي ابتعد عنه بسبب المنفى ثم في نفس القصيدة يقول:

يا وطني البعيد

لأجل عينيك أنا شريد

لأجل عينيك أنا وحيد

في هذه الدوامة السوداء

في هذه الأنواء

متى أرى سماءك الزرقاء[1]

[1]المصدر نفسه، ص 254.

فهو بعيد عن وطنه كل البعد وبسببها أصبح شريدا وحيدا، مغلقا عليه في دوامة سوداء، إذن الشاعر ينتظر فقط يوم الملاقات حتى أنه أصبح يحلم في كل يوم بالعودة لبلده، وهذا في قصيدته "أعدني إلى وطني" في قوله:

إلهي أعدني إلى وطني عندليب

على جنح غيمة

على ضوء نجمة

أعدني فلّة[2]

تمنى الشاعر هنا من ربه بالعودة إلى وطنه في أقرب وقت، فهو لم يعد يطاق تلك الغربة القاسية فهذا الاقتراب قد رافق الشاعر، وظل نداءه إلى بلده ملازما في شعره، فكان كلما يحس بالحنين يلجأ الى تذكر وطنه وذكرياته، وهذا في قصيدة "قصيدة إلى العراق" في قوله:

شعبي العظيم

أني وهبتك كل ما في عالم الأرض

من حب عميق

حبي لأطفالي

---

[1]المصدر نفسه، ص 255.

[2]عبد الوهاب البياتي: الأعمال الشعرية، مج 1، ص 270.

وحبي للعصافير الصغيرة والنجوم[1]

فالشاعر يتغنى بشعبه العظيم، وكمية الحب الذي قدمه للعراق لها ولأطفالها وكل ما فيها من عصافير ونجوم وغيرهم، كذلك في قصيدة "تذكار من بغداد' يتذكر النخلة التي كانت في سجن بغداد ويذكرها بحزنها حين يقول:

يا نخلة في سجن بغداد

أتذكرين؟

غناءنا الحزين

قبره طارت مع الشمس

وهذا كل ما أذكره[2]

فالشاعر في هذه الأبيات يتذكر الأيام الحزينة التي عاشها في بغداد وسجنه الذي أمام النخلة، ثم بعد ذلك يتحسر من حالة ذلك المسجون فيقول:

يا حسرة السجين

قبرة طارت مع الشمس

وفي بغداد[1]

[1]المصدر نفسه، ص 339.

[2]المصدر نفسه، ص 381.

البياتي وقصائده كلها تقريبا تدل على الرغبة المكانية، البشرية بسبب نزوحه عن وطنه الغالي، مما جعله يعيش في أحلام وهمية، وظلمات مملوءة بالحزن، لذلك أصبح يطالب الظهر والأيام بما تعجز عنه أثناء تلك الظروف، فستمزقه هو فراقه عن البلد الأصلي، مما يجعله يحس بالوحدة والأسى يقول في قصيدة "الطريد"

حلمت أنى هارب طريد

في غابه

في وطن بعيد

****

والفراق يا حبيبتي عذاب

أني بلا وطن

أموت في مدينة مجهولة

أموت

يا حبيبتي[2]

[1]المصدر نفسه، ص 381.

[2]عبد الوهاب البياتي: الأعمال الشعرية، مج 1، ص 376.

شعور البياتي هنا بهذا الألم والوحدة والغربة النفسية، سببه شدة شوقه للوطن، وهذا إحساس يزداد لديه يوما بعد يوم، فالافتراق قد عذبه، يموت في بلد مجهول لا يتجاوب مع مجتمعه، كأنالتغني هذا أصبح يلازمه كل يوم بسبب حرمانه مبكرا من أهله ومكانه الأصلي، فقط تحجر إحساسه بالحياة، ولم يعد شيء يحركه أو يؤثر فيه، ويظهر تعبه في غربته في قصيدة "الحرف العائد" حيث قال:

سندبادي مات مقتولا على مركب نار

وطني المنفى

ومنفاي إلى الأحباب ذر

وجه أمي،أبدا المحه عبر الجدار

وجه أمي والصغار

****

أيها المنفي

يا محض شعار

إنني أحمل بغداد معي في القلب من دار لدار[1]

[1]المصدر نفسه، ص 414.

هذه الأبيات تدل على الحياة القاسية والرحلةالمتعبة التي عاشها الشاعر، فهو كان يعيش المنفى قبل نفيه، فيحن إلى أمه، فبغداد قد سكنت عقله وقلبه أينما ذهب ونفي، بعدها يقول:

آه من عري القفار

آه لو عدت إلى بيتي

لمزقت مكاتيبي وأوراق الغبار

ولعلمنا الصغار

كيف أبحرنا على مركب نار[1]

في أمنية حياة الشاعر رجوعه إلى داره وأهلهوأصدقائه، هذا كل همه، لأنه لم يعد يتحمل تلك الغربة التي مزقت نفسه، ولم يعد له لا أهل ولا دار ولا وطن، ولا صديق يؤنسه، فهو يتحسر من حاله التي آل إليها، ما نجده في قصيدة "لماذا نحن في المنفى" بقوله:

لماذا نحن يا ربي

بلا وطن، بلا حب

نموت في رعب

لماذا نحن في المنفى[1]

[1]المصدر نفسه، ص 415.

هنا يشكو الشاعر لربه عن حالته ونفسه التي لا تملك وطنا ولا حبا، محصورة في المنفى، نعاني بصمت، نموت في رعب موحش ومخيف فأشعار البياتي ليست إلا دليل على وسيلة ذهب إليها للتعبير عن ما يتمالكه من غربة وشوق وألم ووحدة وتحصر ... وغيرهم، فلجا للشعر لقناع يتستر وراءه، وهذا حين قال في قصيدة "الشعر يتحدى":

لأنكم لم تعرفوا الوحشة والفقدان في حياتكم لم

تفرقوا –أوّاه–

طعم الدم المر ولا الحب الذي يموت في صباه

لأنكم لم تعبروا أسوار بغداد ولم تحترقوا

يا سادتي أوّاه

الشاعر الشاعر يقضي نحبه الليلة في نجواه

ممزقا عيناه[2]

فالشاعر يحكي عن تجربته التي عاشها، والتي لن يحس بها الا من جربها لشدة صعوبة التأقلم مع هذا الفراق، أي أن البياتي هو من احترق نفسيا، وخرج عن أسوار بغداد، متمزقا، عيناه تبكي لذلك الابتعاد القاسي، فعيشته في مدينة بظروفها جعلته يفر منها ويرفض حالها وهذا في قصيدة "الليل والمدينة والسل" بقوله:

---

[1]المصدر نفسه، ص 430–131.

[2]المصدر نفسه، ص 621.

في ليالي الموت والخلق، وفي الأعماق

لم تزل كالهرة السوداء، كالأم الحزينة

تلد الحياء في صمت وأعماق المدينة

تبصق الموتى على الأرصفة الغبر السخينة[1]

يشير النص الشعري براي البياتي وموقفه تجاه مدينته، حيث ارتبطت مدينته بالخوف، والرعب، والسل، وذلك كله بسبب الظروف الاجتماعية والسياسية، من ظلم وتسلط على أهل المدينة، ولم تأبه السلطة المستبدة لحال الناس وزمنهم الجوع، والتخلف، والأمراض.

علاقة الشاعر بوطنه وطيدة جدا فبالرغم من ترحاله من المنفى إلى منفى، إلا أنه مازال يتذكرها كل يوم مهما مرت السنين، فالمعاناة التي عاشها بلاده لن تنسى أبدا، وما زالت راسخة في كيانه، فمكبوتات الشعر ولدت له غربة نفسية واجتماعية وروحية ومكانية، وهذا كله بسبب فراقه عن (عراق، بغداد) تاركا فيها ذكريات وطفولته وأهلهوأحبابه، قائلا في قصيدة "بغداد"

مهما طال حوار الأبعاد

فستبقى بغداد

شمسا تتوهج

[1]المصدر نفسه، ص 289.

تبعا يتجدد

نارا أزلية

رؤيا كونية

لطفولة الشاعر[1]

وهكذا فعبد الوهاب البياتي قد عاش حياة المنفى التي تركت فيه أثرا بالغا من غربة داخلية، أو خارجية، فابتعاده عن وطنه ولد لديه اليأس والحزن، والحنين إلى الوطن، فمهما مرت السنين سيبقى وطنه هو أصله ومجده، وسبب عيشه.

III. إيليا أبو ماضي

يعتبر إيليا أبو ماضي من أكبر شعراء المهجر، وأكبر العرب المعاصرين حيث ولد بقرية لبنان، فيها درس علومه الابتدائية، ثم رحل إلى مصر مثله مثل ما ذهب الكثير من الشعراء اللبنانيين إلى أماكن أخرى، وهو من أهم الشعراء الرابطة "وكان إيليا أبو ماضي أشهر شعراء الرابطة، وشعره أوسع انتشارا بين القراء قياسا إلى جميع الشعراء المغتربين في الأمريكيتين، فقد أدخل تجديدات مهمة على القصيدة العربية"[2]، وبعد ذهاب الشاعر إلى مصر، بعدها هاجر إلى أمريكا حيث "هاجر أبو ماضي من مصر إلى أمريكا عام 1911، ثم ذهب إلى نيويورك عام 1916، حيث كان بقية أعضاء الرابطة باستثناء نعيمة"[3]، فإيليا

---

[1] المصدر نفسه، ص 482.

[2] سلمى الخضراء الجيوسي: اتجاهات وحركات في الشعر العربي الحديث، ص 169.

[3] المرجع نفسه، ص 170.

ألف ديوانه الذي يحتوي على قصائد مشهوره أبدع فيها، فالشاعر لما اغترب عن بلاده ألف العديد من القصائد التي كانت نتيجة الهجرة، والعيش في المهجر، فأغلبها كانت تحتوي على مظاهر الحزن والحنين إلى الوطن، ودلالتها على مدى حب الشعر للوطن الذي يترعرع فيه.

فالبعد عن الوطن ولد لديه اقتراب نفسي حاد وقوي، مما دفعه إلى الشوق، مبينا ذلك في شعره، إذا فإيليا أبو ماضي من أبرز شعراء الغربة الروحية خاصة وأن أغلب قصائده تتمظهر في تذكر الماضي واللوعة في لقاء وطنه الذي افترق عنه، وهذا ما سنحلله في بعض من قصائد المختارة ففي قصيدة "أُمْنِيَّةُ الْمُهَاجِرِ" يقول:

لَـيْـسَ بِـي دَاءٌ وَلَـكِـنِّـي امْـرُؤٌ لَسْـــتُ فِـــي أَرْضِـــي وَلَا بَيْـــنَ صِحَابِي

مَـرَّتِ الْأَعْـوَامُ تَـتْـلُـو بَـعْـضَـهَا لِلْـــوَرَى ضِـحْـكِـــي وَلِـــي وَحْـــدِي اكْتِئَابِي

كُـلَّـمَـا اسْـتَـولَـذْتُ نَـفْـسِـي أَمَـلًا مَـدَّتِ الدُّنْـيـا لَـهُ كَـفَّ اغْـتِـصَـابِ

أَفْـلَـتَـتْ مِـنِّـي حَـلَاوَاتُ الـرُّؤَى عِـنْـدَمَـا أَفْـلَـتُّ مِـنْ كَـفِّـي شَـبَـابِـي

بِـتُّ لَا الْإِلْـهَـامُ بَـابٌ مُـشْـرَعٌ لِـــي، وَلَا الْأَحْـــلَامُ تَـمْـشِـــي فِـــي رِكَـابِـي

أَشْـتَـهِـي الْـخَـمْـرَ وَكَـأْسِـي فِـي يَـدِي وَأُحِـسُّ الـرُّوحَ تَـعْـرَى فِـي ثِـيَـابِـي

رَبِّ هَـبْـنِـي لِـبِـلَادِي عَـوْدَةً وَلْيَكُنْ لِلْغَيْرِ فِي الْأُخْرَى ثَوَابِي[1]

هنا الشاعر يشكو عن حاله التي أل لها لأنه ليس من أرضه ولا مع أصدقائه، فكل الأعوام تمر بسرعة عام تلو الآخر، وهو يعيش في اكتئاب لا يفارقه، لذلك اشتهى الخمر والكأس في يده، فيدعو من الله أن يعود إلى بلاده، ثم بعدها يقول:

لَسْتُ أَشْكُو إِنْ شَكَا غَيْرِي النَّوَى غُرْبَةُ الْأَجْسَامِ لَيْسَتْ بِاغْتِرَابِ

أَنَا فِي نِيُويُورْكَ بِالْجِسْمِ وَبِالرُّ وحِ فِي الشَّرْقِ عَلَى تِلْكَ الْهِضَابِ[2]

إيليا أبو ماضي عندما اقترب عن وطنه، أصبح يعيش في نيويورك بالجسم فقط لكن روحه متعلقة بالشرق وهضابه أي وطنه الأصلي، فهو ينسب نفسه إلى بلده الأصلي، وين في وجوده في المهجر.

أما في قصيدة "الطلاسم" صور حالته المزرية التي عاشها أثناء هجرته وفي مهجره فيقول:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيت

وسأبقى ماشياً إن شئتُ هذا أم أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

---

[1] إيليا أبو ماضي: ديوان، دار العودة، بيروت، د. ط، RAYAHEENwww.liilas.com/vb3 ص 154.

[2] المرجع نفسه، ص 155.

لست أدري[1]

هنا نجد أن الشاعر تائه في عالم غريب، لا يعرف طريقه، ولا من أين أتى، فلم يعد يهمه نهاية الطريق، فما أن وجد الدرب أمامه مشى فقط دون مبالاة، وهو لا يدري كيف تغرب، وتشرد هكذا بهذه الطريقة المحزنة، وفي نفس القصيدة يقول:

أين ضحكي وبكائي وأنا طفل صغير؟

أين جهلي ومراحي وأنا غضٌّ غرير؟

أين أحلامي وكانت كيفما سرت تسير؟

كلها ضاعت، ولكن كيف ضاعت؟

لست أدري![2]

هكذا نلاحظ بأن هذه الأبيات يتساءل فيها عن ضحكته وبكائه عندما كان صبيا صغيرا وإلى أين تبعثرت أحلامه التي كان يرسمها بدقة، لكن للأسف الشديد تلك الأحلام قد ضاعت، فإيليا يتحسر عن حالته الصعبة التي يعاني منها، وهذا التشرد كله بسبب غربته الروحية عن وطنه وفي قصيدة اذكر نواه يتغنى بمصر التي ترعرع فيها يقول في قصيدة "عيد النهى"

ذهب الصبا وبقيت في خسراته ليت الأسى مثل الصبا لنفاد

[1] إيليا أبو ماضي، ديوان، ص 191.

[2] المصدر نفسه، ص 261.

إنّ الشباب هو الغني فإذا مضى وأقمت لا ينفكّ فقرك بادي

الشاعر في هذه الأبيات يفتقد صباه الذي ذهب ولم يعد، بسبب الغربة التي مزقت روحه، فبقي في تحصره الأسى لديه لم ينفذ لكن العبء قد زال هكذا تمالك الشاعر وعطش نفسي لماضيه وطفولته التي عاشها في صغره، بعدها يقول:

وطنان أشواق ما أكون إليهما مصر التي أحببتها وبلادي

ومواطن الأرواح يعظم شأنها في النفس فوق مواطن الأجساد

حرصي على حبّ ((الكنانة)) دونه حرص السجين على بقايا الزاد

بلد الجمال خفيّة وجليّه والفنّ من مستطرف وتلاد

هنا إيليا أبو ماضي لشدة تعلقه الشديد بوطنه المجيد، وتغنى بالوطن الذي وصفه ببلد الجمال فالشاعر حتى وإن ولد في لبنان وتغنى بها في قصائده، لكنه لم ينسى مصر والشام وغيرهم لذلك ذكر مصر في تلك الأبيات لأنها المكان الثاني الذي احتضنه بعد قدومه لها، وعاش فيها ما يعادل في لبنان وهذا الغزل ببلده والأماكن التي عاش فيها هو عبارة عن حنين لهم وهذا ما نجده في قصيدة يا بلادي حين تغنى بها يقول:

مثلما يكمن اللّظى في الرّماد هكذا الحبّ كامن في فؤادي

لست مغرى بشادن أو شاد أنا صبّ متيّم ببلادي

يا بلادي عليك ألف تحيّة[1]

[1]المصدر نفسه، ص 261.

تلك الغربة التي عاشها شاعر أشعلت فيه الشوق لبلده، مما جعله يتغنى به في قصيدته بسبب تركه لأرضه وذكرياتها، ثم يقول في نفس القصيدة:

شوق يروح مع الزّمان ويغتدي والشّوق، إن جدّدته يتجدّد

دع عنك نصحي بالتّبلّد ساعة يا صاح، قد ذهب الأسى بتبلّدي

ما زاد في أسف الحزين وشجوه شيء كقولك للحزين تجلّد[1]

هذه الأبيات يبين فيها الشاعر شدة شوقه لوطنه، فكلما مرت الأيام يزداد شوقه ويتضاعف، ولشدة تعلقه ببلاده، صوره في صورة امرأة ذات عينين جميلتين حيث يقول:

عَيناك وَالسِحرُ الَّذي فيهِما

صَيَّرَتاني شاعِراً ساحِرا

طَلَّمَتنِيَ الحُب وَعَلَّمتُهُ[2]

فهنا يصف بلاده بتلك المرأة ذات أعين الساحرة التي بسبب حبه لها، كونته شاعرا مبدعا، وعلمته سهر الليالي، ومناجاته، وبعدها يقوم بوصف حالته التي قال لها، فمن قبل كان في مكانه نائما مرتاح البال، أما بعد ما عاد تائها محتارا يشكو هجرته القاسية في قوله:

كَم نائِمٍ في وَكرِهِ هانِئٍ

نَبَّهتِهِ مِن وَكرِهِ باكِرا

[1] إيليا أبو ماضي، ديوان، ص 416.

[2] المصدر نفسه، ص 413.

أَصبَحَ مِثلي تائِهاً حائِراً

لَما رَآني في الرُبى حائِرا

وَراحَ يَشكو لي وَأَشكو لَهُ

بَطشَ الهَوى وَالهَجر وَالهاجِرا[1]

أما في قصيدة "وداع وشكوى" فنجد بأن الشاعر يبكي ويشكو من حزنه لفراقه عن بلده، فتمالكت نفسه الكثير من الفوق من الليالي القادمة حتى قبل أن تأتي تلك الأيام المقبلة، فذلك الوداع قد احرقه وشرب دموعه التي انهمرت من عينيه كالمطر فيقول:

أَزِفَ الرَّحِيلُ وَحَانَ أَنْ نَتَفَرَّقَا

فَإِلَى اللِّقَا يَا صَاحِبَيَّ إِلَى اللِّقَا

إِنْ تَبْكِيَا فَلَقَدْ بَكَيْتُ مِنَ الْأَسَى

حَتَّى لَكِدْتُ بِأَدْمُعِي أَنْ أَغْرَقَا

وَتَسَعَّرَتْ عِنْدَ الْوَدَاعِ أَضَالِعِي[2]

فكل الكلمات في هذه الأبيات تدل على ألم الشعر وحزنه (الأسى، تبكيا، بكيت، بأدمعي، أغرقا) إذا الشاعر قد غرق في دموعه ومأساته بسبب فراقه ووداعه لوطنه ثم في نفس القصيدة يقول:

[1]المصدر نفسه، ص 267.

[2]المصدر نفسه صفحه 510.

وَطَـنٌ أَرَدْنَـاهُ عَـلَـى حُـبِّ الْـعُـلَا

فَأَبَى سِوَى أَنْ يَسْتَكِينَ إِلَى الشَّقَا

****

وَطَـنٌ يَـضِـيـقُ الْـحُـرُّ ذَرْعًـا عِـنْـدَهُ

****

مَشَتِ الْجَهَالَةُ فِيهِ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا

تِـيـهًـا، وَرَاحَ الْـعِلْمُ يَمْشِي مُطْرِقَا[1]

في هذه الأبيات عندما ودع لبنان، وذهب إلى المهجر شاكيا حزينا، لما وصلت لها حالته النفسية، تأمل بأن تصبح ذاته في الصورة جيدة، في أمريكا، كذلك عبر الشاعر عن حزنه على وطنه الذي استسلم للذل والتسلط والعبودية من طرف الاستعمار، أما في قصيدة "لمن الديار" نجده يتحسر على الأهل الذين كانوا يسكنون في منازلهم، في قوله:

وقع الّذي كنّا نخاف وقوعه ***فعلى المنازل وحشة لا ترحل

أشتاق لو أدري بحالة أهلها ***فإذا عرفت وددت أني أجهل

لم تبق أرجال الدّبى في أرضهم *** ما يستظلّ به ولا ما يؤكل

أمست سماؤهم بغير كواكب***ولقد تكون كأنّها لا تأفل[1]

[1]المصدر نفسه صفحه 513-514.

الشاعر هنا يبكي على الحالة المزرية التي يعيشها أهل الديار، فالشيء الذي كان يخافه قد حدث، وقد مات أهل البلد، ولم يبقى في أراضيهم لا أكل ولا شرب، أصبحوا يعيشون في ظلمة وهم في النهار، وفي قصيدة "تأملات" نجد فيها حنين الشاعر إلى الوطن في قوله:

قالت: أينسى النازحون بلادهم؟ ما هاج حزن القلب غير سؤالها

الأرض، سوريّا، أحبّ ربوعها عندي، ولبنان أعزّ جبالها

والناس أكرمهم علّي عشيرها روحي الفداء لرهطها ولآلها!

والشهب أسطعها التي في أفقها ليس الجلال الحقّ غير جلالها

وأحبّ غيث ما همى في أرضها حتى الحيا الباكي على أطلالها

مرح الصّبا الجذلان في أسحارها ومنى الصّبا الولهان في آصالها

*****

وتعاقبت صور الجمال فلم يدم في خاطري منها سوى تمثالها[2]

في هذه القصيدة عبر الشاعر عن حنيته لوطنه، ويبدو بأن روحه تحن كثيرا للبنان، التي عاش فيها، وترك فيها ذكريات الطفولة والأهل، فبالرغم من غربته في أمريكا إلا أنه الولع والحب بقي في ذاته وقلبه بصورها وطبيعتها، وهذا ما صوره في تلك الأبيات من

[1]إيليا أبو ماضي، ديوان، ص 416.

[2]المصدر نفسه، ص 586.

أرض وصبا، فالوطن هو سر غربة الشاعر في مهجره، ما جعله يصرخ في قصائده مناديا به، أما في قصيدة أخرى نجد الشاعر يحن إلى شبابه، يقول في قصيدته "الشباب والحب"

بكيت الصّبا من قبل أن يذهب فيا ليت شعري ما تقول إذا ولّى؟

وهّمته يبقى إذا أنت صنته عن الشفة الحمراء والمقلة الكحلا

****

خشيت عليه أن يطوحه الهوى فألقاك هذا الخوف في الهوّة السفلى

أتلجم ماء النهر عن جريانه مخاقة أن يفنى؟ إذن، فاشرب الوحلا

سبيلى الصّبا مهما حرصت على الصبا فدعه يذوق الحبّ من قبل أن يبلى[1]

هنا يظهر حنين الشاعر إلى شبابه، لأن الصبا بالنسبة لديه من أجمل مراحل العمر، فبعد أن يصل الإنسان للكبر، يصبح في لهفة للعودة إلى الماضي الجميل، لذلك إيليا أبو ماضي في تلك الأبيات يخاف من الوصول لمرحلة الكبر، فهو يدعو إلى عيش ذلك الصبا بكل أيامه قبل أن يفنى ويفوت الأوان.

قصائد إيليا أبو ماضي كلها تتمحور حول الغربة الروحية التي ولدت لديه الحنين والشوق إلى بلاده، والتغني بها في قصائده، ما يبين لنا شدة حب الشاعر لوطنه الغالي

[1] المصدر نفسه، ص 602.

عليه، ففي قصيدة "مصر والشام" يقوم بذكر الشام ومصر، فبالرغم من عيشه في مصر، إلا أنه يحن إلى الشام يقول:

كَذلكَ الهَمُّ أَعسَرُ ما تَراهُ إِذا سَكَتَ الدُجى وَغَفى الأَنامُ

تَحُنُّ إِلى بِلادِ الشامِ نَفسي أَقطُرَ الشامِ حَيّاكِ الغَمامُ

وَما غَيرُ الشَآمِ وَساكِنيهِ لَبانَتنا وَإِن بَعدَ الشَآمُ

وَلَولا أَن في مِصرَ مُقامي لَعَمرُ أَبيكَ ما طالَ المُقامُ

مَضى عامٌ عَلَيَّ بِأَرضِ مِصرٍ وَذا عامٌ وَسَوفَ يَجيءُ عامُ

وَما مِصرُ الَّتي مَلَكَت فُؤادي وَلَكِن أَهلُها قَومٌ كِرامُ[1]

وفي قصيدة "يا جارتي" كذلك يحن الشاعر إلى وطنه لبنان ويحلم بالعودة إليها حيث يقول:

بَل لَيتَني لَم أُسائِل عَنكَ جارَتَنا بَل لَيتَ قَلبي إِذ ساءَلتَ صَوّانُ

وَهَل تَعودُ إِلى لُبنانَ بَهجَتَهُ وَهَل أَعودُ وَفي لُبنانَ نَيسانُ[2]

كذلك الشاعر إيليا قد ألف قصيدة مشهورة سماها "وطن النجوم" والتي فيها اندمج الشاعر مع أرض وطنه، حيث يقول:

[1] إيليا أبو ماضي، ديوان، ص 629.

[2] المصدر نفسه، ص 689.

وطنَ النجومِ: أنا هُنا حدّقْ، أتذكرُ مَن أنا؟

أَلَمَحتَ في الماضي البعيدِ فتىً غريرًا أرعنا؟

جذلانَ يَمرحُ في حقولِكَ كالنسيمِ مُدندنا

*****

أنا ذلكَ الولدُ الذي دُنياه كانت ههنا!

أنا مَن مياهِكَ قطرةٌ فاضتْ جداولَ مِن سَنا

أنا مِن ترابِكَ ذرّةٌ ماجَتْ مواكبَ مِن مُنَى

أنا مِن طيورِكَ بلبلٌ غنّى بمجدِكَ فاغتنى

حَمَلَ الطّلاقةَ والبشاشةَ مِن ربوعِكَ للدُّنى

كم عانقَتْ رُوحي رُباكَ وصفّقتْ في المُنحنى؟[1]

هنا الشاعر يفتخر ببلاده وحضارته وطاقته وشبابه حيث يذكر وطنه بأنه هو من كان يعيش فيها ولطالما عانقت روحه أرضها فهنا امتزج ماضي الشاعر بين الهجرة والعودة، اذا فالشاعر ذو علاقة وطيدة ببلاده، مما جعله يسرح في التعبير عن وطنه في قصائده، يذكر فيهم بماضيه وأهله وأصدقائه أيضا في نفس القصيدة يتذكر شقاوته أثناء صباه فيقول:

يتسلّقُ الأشجارَ لا ضَجَرا يُحسُّ ولا وَنَى

[1]المصدر نفسه، ص 736-737.

ويعـودُ بالأغصـــانِ يَبريها سيوفًا أو قَنا

ويَخــوضُ في وحــلِ الشّتا مُتهلّلا مُتيمّنا

لا يتّقــي شــرَّ العيــونِ ولا يخافُ الألسنا

لو تأملنا في هذه الأبيات لرأينا بأن إيليا أبو ماضي يحن إلى حياة حينما كان شقي، يجعل من الأغصان سيوفا، يتسلق الأشجار دون تعب أو ملل، فهو يشتاق إلى ذلك الزمان حينما كان مراهقا لا يخيفه شيء أو شخص أو عين، فزوال هذه الذكريات جعله يحس بالحزن الشديد، حيث يقول في قصيدة "دموع وتنهدات":

ألا ليت قلبا بين جنبيّ داميا أصاب سلوا أو أصاب الأمانيا

أجنّ الأسى حتّى إذا ضاق بالأسى تدفّق من عينيّ أحمر قانيا

****

فلا تحسباني أذرف الدّمع عادة ولا تحسباني أنشد الشعر لاهيا

ولكنّها نفسي إذا جاش جأشها وفاض عليها الهمّ فاضت قوافيا[1]

هنا الشاعر بما انه ابتعد عن وطنه وعاش غربة مكانية ونفسية، فهو يصدق حزنه وحالته المزرية التي يمر بها، يبكي ويتنهد من الأسى الذي يعيشه، إذ يبين بأنه لا يذرف الدمع أحيانا بل هو يبكي كل يوم، ولا ينشد الشعر لأنه لديه الكثير من الفراغ فيلهو بالشعر،

[1] إيليا أبو ماضي، ديوان، ص 816.

ولكن في الحقيقة هو شاعر يؤلف الشعر نتاجا لتجربته الحقيقية التي نتجت عن الغربة عن الوطن، فوجد الشعر الملجأ الوحيد لإفراغ أحاسيسه وأحزانه وفي نفس القصيدة يقول:

تمرّ اللّيالي ليلة إثر ليلة وأحزان قلبي باقيات كما هيا

ولو أنّ ما بي الخمر أو بارد اللّمى سلوت، ولكن أمّتي وبلاديا

إذا خطرت من جانب الشّرق نفحة طربت فألقى منكباي ردائيا

أحنّ إلى تلك المغاني وأهلها وأشتاق من يشتاق تلك المغانيا[1]

هذه الأبيات تدل على حزن الشاعر الذي يمر به في لياليه، والالام الذي في قلبه بقت هي هي، لا نقصان ولا ذهاب، وفي آخر البيت يقول: (أحن إلى المغاني وأهلها) وهذا دليل على حنين الشاعر إلى الأماكن بلده التي كان منغمسا فيها.

هناك قصيدة سماها الشاعر بعنوان "لبنان" هي يتذكر الطبيعية الموجودة فيها ومدى اشتياقه لها، يقول:

إثنانأعيا الدهر أن يبليهما لبنان ولأمل الذي لذويه

نشتاقه والصيف فوق هضابه ونحبّه والثلج في واديه[2]

فالشاعر يشتاق إلى صيف بلاده وثلجه ووادیه، فهو يذكر أماكن وطنه في كل زاوية خاصة الطبيعة الجميلة التي كانت تزيد لبنان رونقا وجمالا، وبعدها يقول:

[1] المصدر نفسه، ص 817.

[2] المصدر نفسه، ص 793.

وطني ستبقى الأرض عندي كلّها حتّى أعوذ إليه أرض التيه

سألوه الجمال فقال: هذا هيكلي والشعر قال: بنيت عرشي فيه[1]

في هذان البيتان يؤكد الشاعر بأن أرض لبنان ستبقى أرضه وملكه إلى حين عودته لها فبالرغم من انفصاله عن الوطن المجيد إلا أنه لن ينسى أرضه هو المكان الذي ترعرع فيه طول حياته.

إذا بعد نظرتنا للبعض من قصائد إيليا أبو ماضي أرى أنه عندما هاجر من لبنان إلى مصر إلى أمريكا، قد تولد لديه نوع من الحنين إلى الوطن والاغتراب النفسي والروحي، هكذا فالشاعر من أهم الرواد المهجر في الشعر العربي الحديث، تميزت قصائده بملامح الاغتراب المكاني، أي التغرب عن الوطن، مما جعله يحن إلى الماضي والأهل والأصدقاء في قصائده دون أن ننسى تغنيه ببلده (لبنان مصر ...)

وبعد دراستنا لهؤلاء الرواد الثلاث (بدر شاكر السياب، عبد الوهاب البياتي، وإيليا أبو ماضي) نرى بأن الغربة الروحية كانت ترافقهم في شعرهم أينما كانوا، ولاحظنا بأن ذلك الاغتراب الذي لازمهم لم يأتي إلا نتيجة لظروف اجتماعية والسياسية، فمنهم من نفي ومنهم من هاجر بغية التخلص من تلك الظروف، أو بهدف ملاقاة السعادة وأفراحه في المهجر، لكن للأسف بعد هجرتهم وعيشهم في البلد الجديد صدمهم واقع المدينة المر، المليء بالضجيج وانعدام القيم الإنسانية، كذلك بما انهم قد انعزلوا عن الوطن فلابد لهم من أن يحنوا إلى ماضيهم وحضارتهم وأهلهم وأصدقائهم، فعبروا عن ذلك الحنين في قصائدهم وهذا

[1] المصدر نفسه، ص 793.

التعبير كله عبارة عن عالم الخيال ألقوه في مخيلتهم، من خلال العودة للصبا، وذكرياتهم الجميلة، فتنوعت صور التعبير لديهم.

خاتمة

لقد حاولت في بحثي هذا، دراسة مظاهر الغربة والاغتراب في الشعر العربي الحديث والمعاصر عند الرواد الثلاث (بدر شاكر السياب، عبد الوهاب البياتي، وإيليا أبو ماضي) ومن هنا يمكن حوصلة أهم نتائج المتحصل عليها في هذا البحث فيما يلي:

* عرف الشعر العربي في القديم مكانة هامة آنذاك، سواء في العصر الجاهلي، أو في صدر الإسلام، أو في العصر الأموي، والعباسي، دون أن ننسى الوظيفة التي كان يهدف إليها ذلك الشعر في العصر القديم.
* أن التجديد، على مستوى الشعر كان نتاجا لظروف الحياة الاقتصادية والسياسية، فحاول الشعراء أن يعبروا عن تلك الهموم في شعرهم، موظفين أبرز الصور التي تساهم في إيصال حالتهم النفسية، حيث عمدوا إلى إحداث تغيير في الشعر على مستوى الشكل والمضمون، فبالنسبة لشكل الشعر آراء الشعراء أن أشكال الشعر العربي القديم لا تساعدهم في الكتابة الشعرية، ونقل شعورهم النفسي، فحاولوا التغيير في الإيقاع الموسيقي الذي تمثل في نفي الإيقاع الكلاسيكي والتمسك بالجديد، الخاص بالقافية المتكررة، حسب الحالة الشعورية غير المقيدة ومن جهة أخرى التفعيل المتعلقة بالإيقاع، من خلال التنويع في التفعيلات وأوزان دون ملل أو قيد، أما التجديد على مستوى المضمون، فقد تناول الشعراء الكثير من القضايا التي كان هدفها نقل موضوعات العصر بطريقة ملائمة، من أهم تلك القضايا (الشعر والمدينة، شعر المرأة والحب، والشعر السياسي).
* بعد تعمقنا في ظاهرة الغربة الروحية في الشعر الحديث عند رواد المهجر الذين قمنا بدراستهم نستنتج أن:

- مصطلح الغربة قد عرف عدة دلالات متعددة، وهذا مع تطور العصر، ومرور الزمن، أسباب الغربة قد تنوعت، فهناك أسباب اجتماعية ونفسية وعاطفية عرفها الشاعر وهو في وطنه، ما جعله يحس بالغربة النفسية، حتى ولو وهو داخل وطنه، أما النوع الثاني، فتمثل في الأسباب الخارجية، وهذا حيث هجره الشعر إلى غير وطنه فأحس بالاغتراب المكاني، والضياع والعزلة، بسبب حنينه إلى أهله وأحبابه، ومجتمعه الإنساني.
- الغربة التي ظهرت عند شعراء المهجر، جعلتهم يعيشون في خيال خاص الفوه هروبا من تلك الحياة المرة التي مزقتهم، فتولد لديه الحنين إلى الأوطان والذكريات الجميلة وشوقهم الطفولة السعيدة وماضيهم مع الأهل والأصحاب.
- للغربة مظاهر منها: العجز، انعدام المعنى، اللامعيارية، لا هدف، التمرد.
- الغربة لها علاقة قوية بالحنين وشعر الشعراء ليس إلا مرآه تعكس نفسيتهم التي تألمت وتمزقت من هيهات الحب والشوق للوطن وذكرياته.

بعد دراستنا لأهم قصائد الغربة للشاعر العراقي بدر شاكر السياب نلاحظ بأن ديوانه قد تمثل أغلبه في المعاناة من الاغتراب الاجتماعي في وطنه لما آلت إليه العراق من خراب ودمار، وكذلك عرف الاغتراب عاطفي ومكاني من خلال عيشه في بلد المهجر، ما ولد لديه الكثير من الحنين والاشتياق إلى الماضي المملوء بالراحة النفسية وحنينه إلى أهله وصباه وحبيباته، فأفرغ تلك اللهفة في شعره.

أما عبد الوهاب البياتي فمن خلال تحليلنا لأهم قصائده نلاحظ بأنه كان من أشهر شعراء المنفى، فقد عاش حياته كلها من المنفى لمنفى، مما أثر فيه داخليا لذلك أحس بالغربة الروحية المليئة بالأسى والألم، فألف قصائده في أماكن منفاه، معبرا عن حنينه الجياش.

وآخر شاعر تطرقنا إليه لدراسة البعض من قصائده التي تشير إلى الغربة هو ايليا أبي ماضي، نرى بأنه متعلق كل التعلق الشديد بوطنه الذي هاجر منه لكنه بالرغم من ترحاله من وطنه لبنان أنه الأصلي الذي عاش فيه ذكرياته وماضيه مع أحباب

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

1. إبراهيم خليل، الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 1424هـ، 2003م.

2. إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار النشر والترجيع والطباعة، عمان 2007م، 1427 هـ.

3. أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط 5، 2007 م.

4. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، فبراير 1978.

5. أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء، عمان، د.ط، 2013 م.

6. أدونيس علي محمد سعيد، مقدمة الشعر العربي، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 1979.

7. الأستاذ لزهر، نظرية الاغتراب من منظورين العربي والغربي، دار الخلدونية، الجزائر 1434 هـ، 2013 م.

8. أسماء خوالدية، الرمز الصوفي في الإعراب بدأها والإعراب قصدا، دار الأمان، لبنان، 1435هـ، 2014 م.

9. البلاغة ،تحقيق رمضان عبد التواب ،مصر،1965م

10. حبيب علي محمد، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2000 م.

11. حسين علي محمد ،الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية ،ط1،2000،

12. حليم بركات، الاغتراب في الإفاضة العربية متاهة الإنسان بين الحلم والواقع، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1 سبتمبر 2006.

13. سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعارف، الإسكندرية، ط 2، 1983.

14. سلمى الخضراء الجيوسي، ت: الدكتور عبد الوداد لؤلؤة، الاتجاهات في الشعر العربي الحديث، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001 م.

15. سيد البحراوي، العروض وإيقاع الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1993.

16. صلاح الدين أحمد الجماعي، الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، دار زهران، عمان، ط 1، 1431، 2010.

17. صلاح الدين محمد التواب، مدارس الشعر العربي في العصر الحديث، دار الكتاب الحديث، القاهرة، الكويت، الجزائر، 1425 هـ، 2005 م.

18. الطبقات فحول الشعراء ،تحقيق محمود شاكر ،مصر ،1974 ،ج1

19. عبد الرحمن الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، مكة، ط1، حزيران 1989.

20. عبد الرزاق الخثروم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1985.

21. عبد العزيز إبراهيم، شعرية الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2005.

22. عبد العليم محمد إسماعيل علي، ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، دار الفكر الحديث، القاهرة، ط1، 1432 هـ، 2011 م.

23. عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2003.

24. عبد الله الركبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري صالح جودت، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ط، 2012.

25. عبد الناصر ياسين، الرمزية الحديثة في الزخرفة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

26. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، زيده ومنفحة، ط3، 2013.

27. علي البطل، الصورة في الشعر العربي آخر القرن الهجري، دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس، ط2، 1987 م.

28. العمدة تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،مصر،1383هـ1963م,ج10 ،النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2007م.

29. عيسى الناعوري، أدب المهجر، دار المعارف بمصر، ط3 ، 1977 م.

30. فاتح علاق، مفهوم الشعرية عند رواد الشعر العربي الحر، منشورات الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2005.

31. فريد أمغضشو، الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، ط2 1436، 2015.

32. فضل الله، وظيفة الشعر عند النقاد العرب القدامى، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ع 18، 2011.

33. كاميليا عبد الفتاح، القصيدة العربية المعاصرة، د. تحليلية في البنية الفكرية، دار المطبوعة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 2007.

34. محمد التومي، قضية الشعر الجديد، الطبعة العالمية 16. 17، القاهرة، 1964.

35. محمد بنيس، الشعر العربي الحديث (الشعر المعاصر)، دار العلم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1966.

36. محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، دار المعتز للنشر، الأردن، عمان، ط1، 1434هـ، 2013 م.

37. محمد سعدون الإستراتيجية الشعرية عند بدر شاكر السياب(دراسة نقدية)دار الخيال للنشر والترجمة ,برج بوعريرج ،الجزائر (د ط(

38. محمد علي الكندي الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك والبياتي)، دار الكتاب الجديد، المتحدة بيروت، لبنان، ط1، 2003.

39. محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط3. 1984.

40. محمد مصطفى أبو شوارب، إيقاع الشعر العربي وتطوره وتجديده، الإسكندرية، ط1، 2007.

41. محمود مصطفى، الأدب العربي وتاريخه في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، مطبعة مصطفى وأولاده، بمصر، ط2، ج1.

42. محي الدين إسماعيل، ملامح العصر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

43. مختار أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1415 هـ، 1995 م.

44. مصطفى عبد اللطيف السحرتي، الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، دار الحصاد للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية،ط2, 1983، 1904.

45. المقاسات ،حسن السندولي (د ط)،مصر،1929

46. ميلود فضة، الاغتراب في شعر يحيى بختي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة زيان عاشور بالجلفة، الجزائر، مج 1، ع 2، 2012.

47. نازك الملائكة ،قضايا الشعر المعاصر ،دار العلم للنشر والتوزيع بيروت ،لبنان،ط1962،1

48. ناصر لوحيشي، الرمز في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011م.

49. نقد الشعر ،تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي،مصر،399هـ،1979م

50. واصف أبو الشباب، القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، دار النهضة، بيروت 1408 هـ، 1988م.

51. ياسمينة محمد محمود عمر خصائص الشعر في العصر العباسي مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث، ع8، أكتوبر 2015م.

52. ياسمينة محمود محمد عمر، خصائص الشعر في العصر العباسي، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث، ع 8، أكتوبر 2015م.

53. يحيى الجبوري الحنين في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 1428 هـ، 2008 م.

54. يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب عصر صدر الإسلام، الأهلية للنشر والتوزيع، ط2، 2009 م.

الدواوين الشعرية :

1. الأعمال الشعرية ،عبد الوهاب البياتس ،دار الفارس للنشر والتوزيع ،عمان، بيروت .(د ط)،1995م، مج1

2. الأعمال الشعرية ،عبد الوهاب البياتي ،دار الفارس للنشر والتوزيع ,بيروت ،عمان ،(د ط) ،1995 .مج2

3. بدر الشاكر السياب ،الديوان ،دار العودة ،بيروت ،(د ط)،مج2016،2
4. الديوان ،بدر شاكر السياب ،دار العودة ،بيروت،لبنان،(د ط)،مج2
5. ديوان ايليا ابو ماضي ،دار العودة ،بيروت. ،(د ط)،www.liias.com./vb3^RaHEEN^

المعاجم اللغوية:

1. ابن منظور: لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط6 1417 ه، 1997، مج 1.
2. ابن منظور،محمد جمال الدين محمد مكرم لسان العرب ،دار احياء التراث ،بيروت،لبنان،(د ط)،199م
3. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الحديث، القاهرة،د.ط، 1929ه، 2008 م، مج 1.

المجلات والدوريات:

1. ايلان المحلي، العلاقة بين الاختصاص الأكاديمي وبعض جوانب الاغتراب وفقا لمقياس دواوين دين، دراسة ميدانية، مجلة أبحاث البرامون و سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مؤتة، مج4، 1993 م.
2. رزق المتوجي رزق أحمد، تجليات الغربة والحنين في شعر عبد الله القشيري، دراسة تحليليه نقديه، مجلة الزهراء، كلية التربية، جامعة منصورة، ع 31.
3. زينب عباس عبد الله، الغربة في شعر جبران خليل جبران، مجلة الجامعة العراقية، كلية دجلة الأهلية، مج 2، ع 58.

4. عبد الحكيم الدهيمي، بين الرسم بالكلمة والرسم والايقاع في التجربة الشعرية العربية الحديثة، مجلة المعنى، المركز الجامعي، خنشلة، ع 1، 2008 م.

5. عبد الخالق علي، ظاهرة الاغتراب وصداها في الشعر المعاصر، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بمنطقة الخليج، ع7، 1416 هـ، 1995 م.

6. فضل الله، وظيفة الشعر عند النقاد العرب القدامى، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ع18، 2011 م.

7. ميلود فضة، الاغتراب في شعر يحيى بختي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة زيان عاشور بالجلفة، الجزائر، مج 1، ع 2، 2012.

8. ياسمينة محمود محمد عمر، خصائص الشعر في العصر العباسي، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث، ع 8، أكتوبر 2015م.

الرسائل الجامعية :

1. مها روحي إبراهيم الخليلي، الحنين والغربة في الشعر الأندلسي، عصر غرناطة 635، 697، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا بجامعة الجزائر، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2007م

المواقع الإلكترونية:

RAYAHEENwww.liilas.com/vb3

الفهرس	
إهداء	
شكر	
مقدمة	ا
مدخل :الشعر في الموروث العربي (المكانة ،الوظيفة:(	5
.1المكانة	7
.2الوظيفة	13
الفصل الاول :تحولات الشعر العربي في ضوء الحداثة والمعاصرة	
.من حيث الشكل:	20
1الإيقاع الموسيقي	20
2الصورة الشعرية	36
3اللغة الشعرية	46
.من حيث المضمون:	
1الشعر و المدينة	50
2شعر المرأة و الحب	60
3الشعر السياسي	63
الفصل الثاني :أثر المعطى الحداثي والمعاصر على الشعراء العرب	
صورة المعطى الحداثي والمعاصر في البيئة العربية و انعكاساتها على الشعراء (الغربة الروحية.(	
1تعريف الغربة والإغتراب	71
2مظاهر الغربة و أسبابها	76
3تطور الغربة في التاريخ العربي. وأثرها على الشعراء	86
صورة الغربة الروحية في نماذج	95
شعرية:	
1بدر الشاكر السياب	97
2عبد الوهاب البياتي	118
3إيليا أبي ماضي.	134
خاتمة	150
قائمة المصادر والمراجع	155
فهرس المحتويات	
الملخص.	
الفهرس	

ملخص

برزت ظاهرة الغربة الروحية في الشعر العربي الحديث المعاصر وبرزت بشده فيه حيث أصبحت اغلب إحصاءات الشعراء تحمل نبره من الاغتراب والحزن والتغني بالوطن، الذي سببه النزوح عن البلد والهجرة إلى بلاد أخرى هذا ما جعلنا نختار موضوع بحثنا الذي ذكرنا في الأول حيث تناول هذا البحث مفهوم التجديد على مستوى الشكل والمضمون في الشعر المعاصر وأسبابالغربة وأثرها عند الشعراء، أما في الجانب التطبيقي فتطرقنا إلى شعراء المهجر (بدر شاكر السياب عبد الوهاب البياتي وإيليا أبو ماضي)، ومن خلال تحليلنا لبعض النماذج التطبيقية في دواوينهم لاحظنا بان هؤلاء الشعراء قد عانوا من الغربة نفسيه واجتماعيه ومكانيه قاسيه جعلتهم يشتاقون إلى الوطن والماضي والأهلوالأحباب، ذاكرين ذلك في قصائدهم.

The phenomenon of spiritual alienation has emerged in contemporary modern Arabic poetry, and it has emerged strongly in it, as most of the poets' statistics bear its tone of alienation, sadness, and singing about the homeland, which wascaused by displacement from the country and migration to other countries. On the level of form and content in contemporary poetry and the causes of alienation and its impact on poets. As for the applied side, we touched on the diaspora poets (Badr Shaker al-Sayyab, Abd al-Wahhab al-Bayati and Elia Abu Madi), and through our analysis of some applied models in their collections, we noticed that these poets had suffered from psychological alienation. A harsh social and spatial situation made them long for the homeland, the past, family and loved ones, mentioning that in their poems.